طه حسين

نظام الأثينيين

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

نِظام الأثينيّين

طه حسين

نظام الأثينيين

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

الوطنية الصحيحة تعمل ولا تعلن عن نفسها .

قاسم أمين

إلى هذه الروح الكريم الخالد أهدى هذا الكتاب ، حبًّا له وإعجاباً به ، ووفاء بما له على شباب مصر الناهض من حق .

طه حسين

٢٨ مارس سنة ١٩٢١

مقدمة

١

عرفت هذا الكتاب ، الذى أقدمه اليوم إلى قراء العربية ، ، بطريق المصادفة فى باريس .

أحالنا عليه أحد أساتذتنا فى السوربون . فلما رجعت إليه عرفت أنه استكشف فى مصر سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وألف . ثم نقل إلى المتحف البريطانى فى لوندرا . ثم نشرت صورته الفوتوغرافية . ثم طبع فى لوندرا وباريس وبرلين وغيرها من مدن أوربا . ثم نقل إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات الحديثة . ثم نقد وفسر فى جميع هذه اللغات . ثم درس فى جامعات أوربا . ثم انتفع به مؤرخو الأوربيين . فأصلحوا ما كان فى تاريخ أثينا من خطأ وأكملوا ما كان فيه من نقص . ثم مضت على ذلك ثلاثون سنة والمصريون لا يعلمون من أمره شيئاً .

وإذ كنت أدرس تاريخ اليونان فى الجامعة ، وكنت قد أخذت نفسى بأن أفسر للطلاب من حين إلى حين بعض الأصول التاريخية القديمة ، ليتعودوا قراءة كتب التاريخ ونقدها والاستفادة منها ، فقد اخترت لهم فى هذه السنة هذا الكتاب .

ولكنى لا أبدأ فى هذا الدرس حتى يملكنى الخجل أن أفسر كتاباً استكشف فى مصر ، فأقرأ ترجمته الفرنسية أو الإنجليزية ؛ لأن قراءة الأصل اليونانى غير ميسورة ولا نافعة ، إذ ليس من طلبة الجامعة من ألم بهذه اللغة .

فما لى لا أفسر لهم ترجمته العربية ، إذا كان الشقاء قد قضى علينا ألا نعنى باللغات القديمة ولا نحفل بدرسها . أستطيع أن أترجم هذا الكتاب إلى العربية وأنا مدين لمصر بهذه الترجمة ، لأنى لم أتعلم لأنتفع وحدى بما تعلمت ، ولأن من الحق على كل مصرى أن يبذل ما يملك من قوة لإصلاح ما أصاب مصر من فساد . فما هى إلا أن فكرت فى ذلك حتى أخذت فى الترجمة ، وما هى إلا أن أخذت فى الترجمة حتى أتممتها ، وأنا أقدمها الآن إلى القراء .

٢

مؤلف هذا الكتاب هو أرسطاطاليس . وقد كان العرب لا يعرفون من أمر هذا الرجل إلا أنه المعلم الأول زعيم فلاسفة اليونان ورئيسهم ، وأن فلسفته قد نقلت إلى العربية فى عصر العباسيين فأثرت فى العقل العربى تأثيراً عظيماً ، بل خلقت هذا العقل خلقاً جديداً ، وأنجبت من الفلاسفة أمثال الفارابى وابن سينا وابن رشد ، وغيرهم من الفلاسفة الذين يزدان بهم تاريخ المسلمين .

فأما سياسة الرجل وآراؤه فى المدينة ، وما ينالها من استحالة وانتقال ، وما يختلف عليها من النظم المختلفة ومن صور الحكم المتباينة بين ملكية وارستوقراطية وديموقراطية ، فقد كان العرب يجهلون ذلك جهلا تاما ، أو كانوا لا يلمون به إلا إلماماً قليل الغناء .

وكذلك كان العرب وغيرهم من أهل أوربا فى القرون الوسطى لا يُعجبون بأرسطاطاليس ، إلا من حيث إنه فيلسوف قد درس أقسام الفلسفة فأتقن درسها وجدد فى كل قسم منها مذهباً جديداً ، أصبح هو المذهب الذى يذعن له أكثر الفلاسفة على اختلاف العصور والبيئات ، من غير أن يحاولوا نقده أو التغيير فيه .

ثم استكشف فى العصر الحديث كتاب السياسة فعرف المحدثون من أرسطاطاليس رجلا آخر لم يكن يعرفه أهلُ القرون الوسطى . رجلا قد حاول درس الظواهر الاجتماعية بنفس الطريقة التى أراد أن يدرس بها الظواهر الطبيعية ، والتى أراد أن يدرس بها الظواهر النفسية ، والتى أراد أن يدرس بها ما بعد الطبيعة .

ثم قرأ المحدثون آثاره الأدبية وما كتب عن الشعر وفنونه ، وعن البلاغة وضروبها ، وعن الخطابة وأنواعها ، فاستكشفوا منه رجلا آخر جمع إلى إتقان البحث الفلسفى والسياسى والخلقى إتقان النقد الأدبى .

ولم يكتف أدباء القرن السابع عشر بإكبار هذا الأديب الناقد والإعجاب به ، بل اتخذوا ما وضع من أصول النقد البيانى ، ومن القواعد الفنية فى الشعر وضروبه وفى الخطابة وفنونها ، أصولا لهم زعموا أن ليس

إلى تعدى حدودها من سبيل .

ثم لم يلبث البحث أن أظهر من آثار أرسطاطاليس شيئاً جديداً ، هى كتبه التاريخية التى ضاع أكثرها ولم يبق لنا منها إلا الشىء القليل . فعرفنا من أرسطاطاليس الفيلسوف الخلقى السياسى الأديب ، عرفنا منه مؤرخاً ليس كغيره من المؤرخين .

ولو أن هنالك فرعاً من فروع العلم ، أو ضرباً من ضروب الأدب الذى عرفه القدماء غير ما قدمنا ، لكان من الجائز أن ننتظر أن يرشدنا البحث والتنقيب يوماً من الأيام إلى مقدرة جديدة لأرسطاطاليس ، أو إلى ناحية جديدة من نواحيه لم نكن نعرفها من قبل .

ومن يدرى لعلنا نعلم فى يوم من الأيام أن الرجل قد حاول التصوير أو النقش أو نحت التماثيل . فلسنا نشك فى أنه قد أراد أن يعلم كل شىء ، وأن يتقن كل شىء ، وأن يكتب فى كل شىء ، وأنه قد ظفر من هذا كله بأكثر ما كان يريد . فمن الحسن أن ننتهز فرصة نشر كتاب من كتبه ، وإن كان ضئيلا صغير الحجم ، لنفصّل حياته بعض التفصيل ؛ فإن فى الإلمام بها إلماماً بشىء غير قليل من حياة اليونان فى القرن الرابع قبل المسيح .

٣

كان القرن الرابع قبل المسيح عصر تحول وانتقال للأمة اليونانية خاصة ، وللأمم التى كانت تسكن حول البحر الأبيض عامة . فبينما كانت لقوة السياسية فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع منقسمة بين اليونان والفرس ، أخذت فى أواخر هذا القرن الرابع تتجزأ وتنتقل ، فدالت دولة الفرس وذهب سلطان المدن اليونانية وأصبح الأمر كله بيد الإسكندر ، ثم أخذت دولته تتجزأ من بعده وأخذ سلطان جديد يظهر قليلا قليلا فى إيطاليا ، وهو سلطان الرومان .

فهذا العصر إذاً يمتاز بأنه عصر انحلال سياسى للأمة اليونانية ، وبأنه العصر الذى كانت الأمة اليونانية قد وصلت فيه إلى أقصى ما كان يمكن أن تصل إليه من مجد سياسى أو علمى أو فلسفى أو أدبى .

فليس من شك فى أن لهذا العصر ، عصر الانحلال من جهة والتكوّن من جهة أخرى ، أثراً ظاهراً عظيم الخطر فى حياة من شهده من الناس ؛ لا سيما إذا كان له قلب ذكى وبصيرة نافذة وطبيعة جيدة قيمة كأرسطاطاليس .

ولد أرسطاطاليس سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل المسيح بمستعمرة يونية يقال لها « ستاجيرا » على ساحل مقدونيا بالقرب من تراقيا .

وكان السلطان اليونانى فى ذلك الوقت موضع التنازع بين مدن

ثلاث ، وهى : سبارتا ، وأثينا ، وطيبة .

كانت كل مدينة من هذه المدن تحاول أن تسود على البر والبحر ، وأن تكون صاحبة الكلمة فى بلاد اليونان . ولكنها كانت فى الوقت نفسه قد وصلت من الضعف والانحلال إلى حيث تعجز عن أن تبلغ ما تريد بفضل قوتها الخاصة . فلم يكن موضوعُ التنافس بينها سيادة حربية قبل كل شىء ، وإنما كانت كل واحدة منها تسعى إلى أن تسود بواسطة الحلف بينها وبين الملك الأعظم ، ملك الفرس .

فبعد أن كانت الأمة اليونانية قد أجمعت فى أوائل القرن الخامس على نصب الحرب للملك الأعظم ، ووصلت بهذا الإجماع واتحاد الكلمة إلى قهر الفرس ودحرهم ، وإلى طردهم من أوربا واستنقاذ اليونانيين الأسيويين من أيديهم ، أصبحت فى أوائل القرن الرابع تطلب حلفهم ومعونتهم ، وتتنافس أيها يسبق إلى الظفر بذلك الحلف وهذه المعونة .

وهذا أحسن دليل على ما كانت الأمة اليونانية قد وصلت إليه من الضعف ، وعلى أنها كانت قد أدت عملها السياسى وفرغت منه ، ولم يبق لها إلا أن تترك مكانها لمن يحسن القيام بهذا العمل ويجيد تدبير هذا السلطان .

على أن الدولة الفارسية ، التى كان يتنافس اليونان فى إرضائها وكسب معونتها ، لم تكن أحسن حالا ولا أشد قوة ولا أثبت سلطاناً من الأمة اليونانية نفسها . فقد كان الترف ولين العيش قد عمل فى إفساد قوتها الحربية ، وكان حب المال والرغبةُ فى تحصيله واقتنائه قد عمل فى إفساد

قوتها الخلقية ، فأصبحت فى هذا العصر جماعة ليس لها من القوة والسلطان إلا الاسم والشهرة .

وكان كثير من اليونان يعلمون ذلك ولا يشكّون فيه ، لما كان بين الأمتين فى هذا الوقت من الصلات المختلفة المستمرة . وكثيراً ما كان يتحدث الأطباء والتراجمة والفلاسفة من اليونان ، الذين استخدموا فى قصر الملك ، إلى قومهم بعد أن يعودوا إليهم بأن قوة الملك الأعظم إنما تتألف من الرقيق والطهاة ومن إليهم من أعوان الترف واللهو .

بينما كان هذا الضعفُ العام يحل قوة اليونان من جهة وقوة الفرس من جهة أخرى ، كانت هناك دولة ثالثة ظلت فى أول الأمر ضعيفة معتزلة كل الأعمال السياسية ، ولكنها أخذت فى هذا العصر تقوى وتشتد شيئاً فشيئاً ، وتبسط سلطانها قليلا قليلا على ما كان يجاورها من البلاد ، وهى دولة المقدونيين .

كانت هذه الدولة تجاور اليونان من بعض جهاتها والبرابرة من بعضها الآخر ، وكانت تزعم أنها يونانية وينكر عليها اليونانُ ذلك ؛ ولكنها فى الحق كانت قد جمعت بين رقة اليونان ولطفهم وألوان حضارتهم ، وبين قوة البرابرة وشدة بأسهم وصبرهم على المكروه . وكان أبو أرسطاطاليس « نيكوماكوس » طبيباً لملكهم « أمانتاس » الثالث .

فقد نشأ إذاً هذا الغلام نشأة خاصة أثرت فيها هذه القوة الناشئة التى كان يشهدها فى عاصمة المقدونيين ، وأثّر فيه ما كان يشهد من ضعف اليونان وفساد أمرهم ، وأثّر فيه من وجه خاص ما كان يزاولُ أبوه

من صناعة الطب التى كانت فى ذلك الوقت أقرب الفنون إلى الفلسفة وأشدها بها اتصالا .

لسنا نعرف كيف نشأ أرسطاطاليس ولا كيف تعلم فى أثناء طفولته ، ولكنا لا نشك فى أن هذه المؤثرات المختلفة قد كونت عقله تكويناً خاصا ، فمنحته من مزايا اليونان قوة الفهم وشدة الذكاء وحب الاستطلاع والقدرة على رد الأشياء إلى أصولها ؛ ومنحته من خصال البرابرة ، الذين كانوا يجاورون مقدونيا فى ذلك الوقت ، بل من خصال المقدونيين أنفسهم ، الميل إلى التحقيق ، أى إلى حب الواقع المحس الذى ليس فيه شك ، وبعبارة واضحة جعلته وضعيًّا .

وسنرى أثر هذا كله فى حياته الفلسفية ، فإن الرجل كان قليل الحظ جدًّا من الخيال ، وكان هذا هو الذى باعد ما بينه وبين أستاذه « أفلاطون » .

٤

انتقل أرسطاطاليس من مقدونيا إلى « أثينا » حين بلغ السابعة عشرة ليتم درسه ، وكانت « أثينا » ، فى ذلك الوقت على ضعفها السياسى وانقباض سلطانها فى البر والبحر مدرسة اليونانيين عامة ، يحجون إليها من جميع الأقطار اليونانية فى أوربا وآسيا وأفريقيا .

ولم تكن قد أتقنت فنًّا واحداً من الفنون أو علماً واحداً من العلوم ،

وإنما كانت قد جمعت إليها كل ما كان يسيغه العقل والذوق فى ذلك الوقت من علم وفلسفة ومن أدب وفن . وحسبك أنها كانت مدينة الممثلين والمؤرخين والمغنين والخطباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم من أساتذة الفنون الأخرى كالنقش والتصوير . وحسبك أنها كانت مدينة سقراط . وأن هذه الفلسفة السقراطية كانت قد انبعثت منها فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع ، فانتشرت فى جميع أقطار اليونان واصطبغت فى كل قطر منها صبغة خاصة ، وبقى أصل هذه الفلسفة فى « أثينا » ينمو نمواً معقولا منظماً بواسطة « أفلاطون » .

فلم يكن من الغريب أن يسعى كل شاب يستطيع السعى إلى « أثينا » ليشهد فيها دروس الفلاسفة ، وليسمع فيها لأساتذة البيان ، وليحضر فيها تلك الجلسات السياسية التى لم تكن توجد فى غيرها من المدن ، والتى كان يسمع فيها أشد اليونان فصاحة ولسناً ، وأقدرهم على تدبير الكلام وتسخيره لما يريد . نريد بها جلسات جماعة الشعب الأثينى .

أضف إلى ذلك هؤلاء الفقهاء الذين كانوا يفسرون القوانين الأثينية المختلفة ، ويدرسون ما لليونان على اختلاف أجناسهم من رأى فى القوانين . ويُلقون أمام المحاكم الأثينية من خطب الدفاع ما لا نزال نعجب به إلى الآن ، وعلى الجملة فقد كان اليونانى يقصد « أثينا » كما يقصد الشرقى الآن « باريس » . إلا أن لـ « باريس » خصوماً تعدلها وقد تفوقها فى بعض ضروب العلم ، أما « أثينا » فلم يكن لها عـِدلٌ ولا نظير .

كان « أرسطاطاليس » فى ذلك الوقت قد فقد أباه وأصبح ذا ثروة

تمكنه من الرحلة والإنفاق بسعة على ما كان يريد تحصيله من العلم ، فأقام في « أثينا » عشرين سنة متصلة منذ سبع وستين إلى سبع وأربعين وثلثمائة .

وكان أشد الناس شهرة علمية في « أثينا » في هذا العصر رجلان : أديب وفيلسوف ؛ فأما الأديب فهو « إيسوكراتيس » الذي أخذ يدرس ما كان لليونان من فن أدبي ، ويستخلص من هذا الدرس أصول البيان اليوناني وقواعد البلاغة ، والذي كان قد اشتهر إلى هذا بمهارته الخاصة وإجادته تحبير الخطب وتدبيج فصول الكلام .

فصحبه « أرسطاطاليس » وسمع له . ولا شك في أن « إيسوكراتيس » قد أثر في تلميذه تأثيراً خاصا . فسنرى عناية « أرسطاطاليس » بوضع أصول الشعر والخطابة وتنظيم قواعد البيان .

أما الفيلسوف فهو « أفلاطون » وكان غائباً عن « أثينا » حين وصل إليها « أرسطاطاليس » . ولكنه لم يلبث أن عاد إليها سنة خمس وستين وثلثمائة وأخذ يدرس في الأكاديميا ، فلزمه « أرسطاطاليس » وأحسن الاستماع له ويظهر أنه قد شغف أفلاطون وبهره ، فكان « أفلاطون » يسميه « أناجيستيس » أي القرّاء ، وكان يسميه « أنوس » أي العقل .

ومهما يكن من شيء فقد لزم « أرسطاطاليس » درس « أفلاطون » إلى أن مات سنة سبع وأربعين وثلثمائة . فلم يستطع « أرسطاطاليس » أن يقيم فيها بعد أستاذه ، فسافر إلى أماكن مختلفة ، منها « أتارنيا » ، وهي مدينة في آسيا الصغرى .

كان لهذه المدينة طاغية يقال له « هرمياس » وكان هذا الطاغية

صديقاً لأرسطاطاليس . يظهر أنهما تعارفا وتحابا فى درس « أفلاطون » . فمكث « أرسطاطاليس » عند صديقه حيناً ، ثم كأن صديقه حاول الخروج على الملك الأعظم ، أو أبى أن يؤدى إليه الإتاوة فقتله .

وكان لهذا الطاغية أخت أو ابنة أخت يقال لها « بتياس » فتزوجها « أرسطاطاليس » وارتحل بها من « أتارنيا » إلى جزيرة « متيلين » . وقد جزع « أرسطاطاليس » لفقد صديقه جزعاً شديداً . فبكاه فى شعر تظهر فيه الحسرة وشدة الأسى ، ويقال إنه أقام له تمثالا فى « دلف » .

٥

فى أثناء هذا الوقت الطويل كان ضعف الأمة اليونانية قد أصبح شيئاً محققاً ، وكانت قوة « مقدونيا » قد اشتدت وعظمت حتى استطاع « فيليپوس» ملكها أن يقهر الأثينيين وأهل طيبة مرات متعددة ، وأن يكره الأمة اليونانية على أن تقبله عضواً من أعضاء « الانفكتيون » وهى جماعة دينية سياسية كانت تقوم على حراسة « دلف » ومعبد « أبولون » فيها ، بل استطاع « فيليپوس » أن يكره اليونان على أن يتخذوه قائداً عاما لجيشهم فى حرب كان يريد أن يعلنها على الملك الأعظم ملك الفرس ، فأصبح منذ ذلك الوقت يونانيا ، بل أصبح زعيم اليونان .

فى سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة كتب« فيليپوس » إلى « أرسطاطاليس » يدعوه إليه ليكون مؤدباً لابنه الإسكندر . فسافر أرسطاطاليس إلى

مقدونيا وأقام فيها سبع سنين . وليس من شك فى أن ما يرويه التاريخ والأساطير من كلف الإسكندر بشعر « هوميروس » وأبطاله ، لا سيما « أخيل » إنما هو أثر من آثار أستاذه . ولا شك أيضاً فى أن أرسطاطاليس قد كون عقل الإسكندر تكويناً فلسفيا قويا ، فإن القصص تروى لنا ميلا شديداً من الإسكندر إلى ضروب كثيرة من الفلسفة . ويقال إن أرسطاطاليس قد علم الإسكندر مذهبه الخاص فى الفلسفة ، وأن الإسكندر كان يحرص على أن يكون أول من يقرأ كتب أستاذه . وقد كان يحفظ الرواة كتباً مختلفة تبودلت بين الإسكندر أثناء غيبته فى آسيا وبين أرسطاطاليس ، ولكن المحدثين يشكون فى صحة ما بقى منها .

هناك أمر لا شك فيه ، هو أن أرسطاطاليس عاد إلى « أثينا » سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، حين بدأت غارة اليونان بزعامة الإسكندر على الفرس ، وأن الصلة قد استمرت قوية متينة بين التلميذ وأستاذه ، فكان الإسكندر يمنح الفيلسوف من المال ما يمكنه من البحث العلمى ، وكان يبعث إليه بأنواع مختلفة من الحيوان والنبات ، وغير ذلك من غرائب الطرف التى كانت تهم باحثاً يريد أن يستقصى فى بحثه كل شىء كأرسطاطاليس .

على أن هذه الصلة لم تلبث أن انقطعت وفتر ما كان بين الأستاذ وتلميذه سنة خمس وعشرين وثلثمائة .

كان لأرسطاطاليس ابن أخ ، أو ابن أخت يقال له « كلّيستنيس » وكان « كلّيستنيس » هذا فيلسوفاً مؤرخاً ، بل كان أديباً ذا حظ من

الخيال ، فصحب الإسكندر فى رحلته ، وكأنه كان الصلة الحية بين الأستاذ والتلميذ . ولكن الإسكندر لم يكد يقهر الفرس ويملك « بابل » وغيرها من المدن الشرقية المقدسة حتّى طغى وتجبر وأسخط من كان حوله من اليونان والمقدونيين ، لشيئين : الأول : أنه نسى أو تناسى ما كان له من مركز الفاتح القاهر ، وخيل إليه أنه يستطيع أن يجمع بين اليونان والفرس ويكوّن منهم أمة واحدة ، أو على أقل تقدير طبقة واحدة حاكمة ليست بالفارسية الخالصة ولا اليونانية الخالصة .

وقد بدأ فى ذلك ، فاقترن إلى « روكسان » بنت « درا » الملك المقهور ، وألح على قواده وأفراد جنده أن يفعلوا فعله . فيقال إنه شهر فى ليلة عرسه عشرة آلاف عرس بين اليونان والفارسيات . ثم لم يكتف بذلك بل أحسن معاملة الزعماء من الفرس وردّ إليهم أموالهم وقرّبهم منه ، حتّى أشفق اليونان والمقدونيون أن يغلبهم هؤلاء الزعماء على أمرهم .

الثانى : أن الإسكندر أراد أن يكون ملكاً شرقيا ، وسلك إلى ذلك سبُل ملوك الشرق من المصريين والفرس ، فأراد أن يُعبد ويُتخذ إلهاً . ولم يكتف بأن يأخذ الشرقيين وحدهم بهذه العبادة ، بل أراد أن يفرضها على اليونان والمقدونيين الذين كانوا قد تعودوا الحرية والأنفة ، والذين كانوا يزدرون ذلة الشرقيين وتقديسهم لرجال مثلهم .

فلما طلب الإسكندر ذلك إلى اليونان ظنوا أنه يمزح فاستضحكوا ، فلما آنسوا منه أنه جادّ سخروا منه وهزأوا به . ثم أطاع بعضهم كارهاً وعصى بعضهم مذكراً هذا الإله الجديد بمولده ونشأته ، وفضّل اليونان والمقدونيين

عليه . ومن ذلك الوقت ساءت الصلة بين الإسكندر وأعوانه ، فأتمر به بعضهم، وكان من المؤتمرين « كلّيستنيس » هذا فقتل ، وكان قتله قاطعاً للصلة بين الملك والفيلسوف .

٦

نستطيع أن نعدّ هذا العصر الأخير الذى مكثه أرسطاطاليس فى « أثينا » ، من سنة خمس وثلاثين إلى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، عصر الإنتاج العلمى ، فإن أرسطاطاليس لم يكد يستقر فى « أثينا » حتّى بدأ دروسه العلمية والفلسفية والأدبية ، واتخذ لهذه الدروس بناء خارج المدينة كان ملعباً رياضيا للأثينيين يسمى « لوكايـّوم » « ليسيـّه » ، واتخذ من هذا الملعب موضعاً خاصا كان يسمى « بيريپاتوى » أى موضع المشى ، لأن الأثينيين كانوا يمشون فيه ذاهبين جائين بعد أن يكونوا قد نظروا إلى الطلاب وهم يلعبون .

وكان أرسطاطاليس يمشى فى هذا المكان مع تلاميذه متحدثاً إليهم بما يريد أن يدرسه معهم . وقد قسم يومه قسمين ، فأما الصباح فكان يلقى فيه دروساً عامة قليلة التحقيق كثيرة الوضوح ، يراد بها نشر العلم والفلسفة بين الجمهور الذى لا يريد أن يتخصص ولا أن يتخذهما حرفة . وأما المساء فقد خصصه للدرس الفلسفى العويص ، وقصره على تلاميذه الذين كانوا يتخصصون للدرس والتحصيل .

وقد انقسمت آثار أرسطاطاليس نفس هذا الانقسام ، فقسم منها ألف للعامة وقسم منها ألف للخاصة ، كما سترى ذلك بعد حين .

مكث أرسطاطاليس فى « أثينا » يدرس ويعلم ثلاث عشرة سنة . ولكن موت الإسكندر غيّر كل شىء فى بلاد اليونان تغييراً مؤقتاً ، فثار اليونان بالمقدونيين وأرادوا أن يستردوا حريتهم ، وكان الأثينيون أول الثائرين . وقد أصابت هذه الثورة كل من كان يتصل بالمقدونيين ومنهم أرسطاطاليس ، فحاول بعض الأثينيين أن يتهمه بالفجور والإلحاد ، وأشفق أرسطاطاليس أن يصيبه ما أصاب سقراط ففر من « أثينا » إلى « كلسيس » وفيها مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

وقد روى القدماء ، ووافقهم على ذلك بعض المحدثين ، أن أرسطاطاليس إنما هاجر من « أثينا » مشفقاً عليها أن تجنى عليه أو على الفلسفة فى شخصه ما جنته على الفلسفة فى شخص سقراط . ويخيل إلىّ أن هذه أسطورة أريد بها تمجيد الرجل وهو عن هذا التمجيد غنىّ ، وما أظن أنه قد هاجر إلا احتفاظاً بحياته وحرصاً عليها .

فى نفس هذه السنة التى مات فيها أرسطاطاليس مات نابغة آخر من نوابغ هذا العصر هو « ديموستنيس » الخطيب الأثينى المعروف . كلا الرجلين يمثل عصره أحسن تمثيل ، وكلاَ الرجلين يناقض صاحبه أشد المناقضة . فأما أرسطاطاليس فقد كان يمثل من هذا العصر ميل العقل اليونانى إلى التأليف والترتيب ، وجمع كل ما أثمرته القريحة اليونانية من أدب وعلم وفلسفة فى صورة واحدة متماسكة قادرة على أن تؤثر فيما يأتى

بعد هذا العصر من العصور . وكان يمثل مع هذا الأمة الجديدة الناهضة، التى كان قد قدر لها القضاء أن تهدم سلطان اليونان فى بلاد اليونان وسلطان الفرس فى بلاد الفرس ، أن تقيم على أنقاضهما سلطاناً جديداً يجمع بين الشرق والغرب، ويقارب ما بينهما من البعد الفكرى، ويأخذهما جميعاً بأن يتصورا الأشياء بطريقة واحدة ، وأن يفكرا فيها بطريقة واحدة . وعلى الجملة كان أرسطاطاليس يمثل هذه الأمة التى جعلت العقل اليونانى عقلا عاماً، ورسمت للإنسانية سبيلها التى ستسلكها إلى الرقى .

وأما « ديموستنيس» فكان يمثل من هذا العصر ما بقى فيه من قديم، يريد أن يدافع عن وجوده و يحتفظ بشخصيته . كان يمثل الحرية مدافعة عن نفسها مجاهدة لعدوها ، فكان موته موتاً للحرية اليونانية ، وكان موت أرسطاطاليس بعد أن أتم عمله حياة خالدة للعقل اليونانى .

٧

لا يعرف التاريخ الأدبى اليونانى مؤلفاً من هذا العصر بلغت آثاره من الكثرة والاختلاف ما بلغته منها آثار أرسطاطاليس . كما أن التاريخ لا يعرف قبله مؤلفاً كثر الدرس عليه وانتحال الكتب التى تنسب إليه بمقدار ما كثر ذلك على هذا الفيلسوف .

فقد كان القدماء يروون له مئات من الكتب تختلف طولا وقصراً فى موضوعات شديدة الاختلاف والافتراق . وقد كانوا يشعرون بأن

كثيراً من هذه الكتب إنما كان مزوراً منتحلا . وهم مع ذلك كانوا لا يشكون فى أن أرسطاطاليس قد ترك أكثر من أربعمائة كتاب . وقد ضاع معظم هذه الكتب ، ولم يبق لنا منها إلا نيف وأربعون كتاباً كاملا ، وإلا متفرقات كثيرة من كتب مختلفة ، وأسماء كتب لم يبق منها شيء بحيث نستطيع أن نجزم بأن أرسطاطاليس قد ترك ما يزيد على خمسين ومئة كتاب .

على أن احتياطنا فى حصر كتب أرسطاطاليس ليس معناه أن الرجل لم يترك من الكتب إلا ما نعلم ، وإنما معناه أن بحثنا التاريخى العلمى لم يصل بنا إلا إلى هذا العدد .

فإذا لاحظنا أن جزءاً عظيماً من كتب أرسطاطاليس قد ظل بعد موته مهملا فى نفق من الأنفاق أكثر من قرنين ، وأنه لم ينشر ولم يستنسخ إلا فى أيام « سيلا » الذى نقله من أثينا إلى روما ، وأنه حين أريد نشرُه واستنساخه كان الفساد قد أصابه وعمل فيه، عرفنا أن القدماء كانوا غير مسرفين فيما يعدون من كتب أرسطاطاليس ، وعرفنا أننا لا نخطىء إذا اصطنعنا الشك والتردد قبل أن نجزم بصحة كتاب ينسب إليه .

ومهما يكن من عدد الكتب التى ألفها والتى تنسب إليه ، فإن ما بقى لنا منها ، على قلته وعلى فساد نصوصه فى أكثر الأحيان ، كاف كل الكفاية لإقناعنا بهذا الجهد العظيم الذى بذله أرسطاطاليس فى حياته العلمية ، والذى لا نكاد نتصوره إلا مع شيء من المشقة والعناء .

وما ترى فى رجل لم يترك أثراً من آثار العقل اليونانى أو الشعور اليونانى ، ولا ظاهرة من ظواهر الاجتماع اليونانى ، إلا درسه وكتب فيه . ثم لم يكتف بذلك بل أضاف إلى ما كان قد حصله اليونان من علم ، وإلى ما كانوا قد أقاموا من بناء فلسفى ، ثم لم يكتف بهذا كله بل حاول أن يصوغ كل هذا المقدار الذى جمعه والذى ابتدعه صيغة واحدة ، ويصبه فى قالب واحد ليكون كلاً متماسكاً متماثل الأجزاء .

كل هذا لم يمنعه من أن يحيا لنفسه ، أى من أن يعيش عيشة رجل يحب الحياة ويريد أن يستمتع بلذاتها المادية والمعنوية . فقد روى التاريخ لنا أن أرسطاطاليس لم يكن خشناً ولا متزهداً ، وأنه كان يحب لذات الحياة وما فيها من ترف ، وكان يعنى بزيه وتنسيق لبسته . وروى لنا أيضاً أنه كان مع هذا أباً براً وزوجاً كريماً يريد أن يوفر لذة الحياة على أسرته .

ثم روى لنا مع هذا كله أنه كان أديباً متظرفاً يقول الشعر ويدبج الخطب ويجيد الرسائل ، وأنه قد ضرب فى كل ذلك بسهم . فهذا يدلك على مقدار القوة العملية التى كان يمتاز بها هذا الرجل والتى أنفقها منذ شب إلى أن مات .

على أن شيئاً من التحقيق لابد منه ، فليس يكفى أن نثبت للرجل كل ما قدمنا من غير أن نعرف كيف تأتى له القيام به والوصول إليه .

فإن من ألم بظروف الحياة فى ذلك العصر عرف أنه لم يكن من الميسور أن يقوم رجل واحد بمثل ما قام به أرسطاطاليس من جمع وتحصيل ، ومن كتابة وترتيب ، ومن درس وتعليم ، على شقة المواصلات

وصعوبة النشر وعسر التحصيل .

نعم إن الإسكندر قد سهل على أرسطاطاليس عمله تسهيلا غير قليل ، بما منحه من مال وبما أرسل إليه من حيوان ونبات . ولكن كل هذا لا يكفى لتمكينه من القيام بما قام به . فلو أننا أردنا أن نقسّم على أيام أرسطاطاليس ما ألف من كتب ، قد بلغت عشرات الآلاف من الصحف ومئات الآلاف من السطور فيما يقول القدماء ، لاستغرقت كتابتها أكثر وقته ، فما بالك بإعدادها والتفكير فيها ، وما بالك بدرسه وما بالك بحياته المنزلية .

فلا شك إذاً فى أن الرجل قد كان له أعوان من أصحابه وتلاميذه أضافوا وقتهم إلى وقته ، وجهدهم إلى جهده ، وانمحت شخصياتهم بجانب شخصيته .

وإذا أردت أن أتصور « اللوكايوم » أو مدرسة أرسطاطاليس ، فإنما يخيل إلىّ أنها إنما كانت جامعة علمية أدبية يختلف إليها عدد ضخم من التلاميذ الأتينيين وغير الأتينيين ، وكل هؤلاء التلاميذ كان يجمع ويحصل ويكتب ويؤلف بإرشاد أرسطاطاليس وتحت ملاحظته .

هذا شىء تدلنا عليه كل الحياة العلمية لهذا العصر ، فإن هذا العصر إنما كان يمتاز بالميل إلى جمع الآثار المختلفة فى العلوم والفنون المختلفة ، وتكوين شىء يقرُب مما نسميه الآن دائرة المعارف . وبهذه الطريقة اجتمع لأرسطاطاليس شىء غير قليل من الكتب وسميت باسمه ، وظهرت فى كثير منها شخصيته لأنه قام على تأليفها وترتيبها .

ومهما يكن من شيء فإن الآثار المنسوبة إلى أرسطاطاليس تنقسم أولا إلى ثلاثة أقسام :

١ — آثار أدبية شخصية ليس من شك فى أن أرسطاطاليس هو منشئها ، وهى أشعار وخطب ورسائل فى موضوعات مختلفة . وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا متفرقات قليلة الغناء .

٢ — آثار علمية فلسفية وأدبية نشرت فى حياة أرسطاطاليس . ويخيل إلينا — وهو رأى كثير من المحدثين — أنها إنما جمعت وألفت تحت إشرافه وملاحظته . وقد كان يقصد منها نشر العلم وإذاعته من جهة ، والإعداد لعمل علمى محقق من جهة أخرى . وقد ضاعت كل هذه الآثار ولم يبق منها إلا النذر اليسير .

٣ — آثار مختلفة فى العلم والفلسفة والأدب كان الغرض منها وضع مجموعة علمية منقحة ، قد وصل فيها التحقيق إلى أقصى ما كان يمكن أن يصل إليه من التمحيص . وقد بقى لنا كثير من هذه الآثار . ولعل كل ما فى أيدينا من كتب أرسطاطاليس إنما هو من هذا القسم .

غير أن هذه المجموعة لم تكن قد وصلت إلى شكلها الأخير ، وإنما كان أرسطاطاليس يعد لها المعدات فيقيد خواطره وآراءه فى كل فصل من فصول العلم الذى كان يريد تنقيحه وتلخيصه . ثم مات قبل أن يلقى عليها نظرته الأخيرة .

وهذا ، مع عبث النساخ وسوء فهمهم ، هو مصدر ما نجد فيها من الغموض والاضطراب فى كثير من الأحيان .

٨

إذاً فقد انقسمت كتب أرسطاطاليس إلى قسم عام ، وهو ما كان يسمى « إكسوتيريكوس » أى القسم الذى إنما كان يراد به الجمهور المستنير ، وإلى قسم خاص « إيسوتيريكوس » أى القسم الذى كان يؤلف لأعضاء المدرسة والعاملين فيها من طلاب الفلسفة الذين وقفوا حياتهم عليها .

وهذا القسم الثانى قد انقسم إلى قسمين ، بمقتضى انقسام فلسفة أرسطاطاليس نفسها : قسم نظرى ، وقسم عملى .

ذلك أن أرسطاطاليس كان يرى أن موضوع الفلسفة يجب أن يشمل كل شىء ، لأن الغرض منها إنما هو العلم الصحيح بالكائن من حيث هو كائن ، ولم يكن يرى رأى أفلاطون من حصر الفلسفة فى العلم بالكائن من حيث هو سبيل إلى الخير ، إنما كان رأيه أشمل من ذلك وأعم ، فكل شىء موجود ، سواء كان محساً أم غير محس ، وسواء أكان من العالم الطبعى أو الاجتماعى أو الخلقى . نقول : كل شىء موجود كان عند أرسطاطاليس صالحاً ليكون موضوعاً للبحث لأن أرسطاطاليس كان يرى فى هذا العالم كلاً متماثل الأجزاء متناسبها ، ليس من سبيل إلى أن يُعرف بعضه إلا إذا عُرف بعضه الآخر .

فكان يريد أن تكون فلسفته صورة صادقة لهذا العالم الذى تدرسه

وتبحث عنه . وهذه فكرة ليس من شك فى أن أرسطاطاليس مبتكرها ، وفى أنها قد كانت ولا تزال مطمع كثير من الفلاسفة الذين يفرضون أن لهذا العالم ، على اختلاف ما فيه من صور ، وحدة يجب على الفلسفة أن تحققها وتمثلها تمثيلا صحيحاً .

وليس ما بذله « أوجوست كونت » من الجهد العظيم فى أوائل القرن التاسع عشر إلا محاولة لتحقيق هذه الوحدة فى فلسفته الوضعية .

عجز أفلاطون عن إثبات هذه الوحدة لأنه لم يكد يفترض فرضه الأساسى ، من أن لكل موجود خارجى مثالا معنوياً هو صورته الحقيقية ، حتى استرسل مع خياله القوى الخصب فترك هذه الأشياء الخارجية المحسة وتبع مثُله المعنوية ، فأخذ يقيم منها قصوراً فى الهواء ، وقضى بذلك على قسم عظيم من فلسفته بالعُقم وعدم الإنتاج .

أما أرسطاطاليس فلم يستطع أن يفرّق بين الشىء ومثاله ، ولم يقل بأن للمثُل وجوداً مستقلا منفصلا عن وجود صورها الخارجية . ولم يستطع أن يؤثر هذه المثل ويتخذها وحدها موضوعاً لبحثه . وإنما اتخذ الأشياء ، من حيث هى أشياء ، موضوعاً لهذا البحث ، فأثبت مقدار ما كانت تسمح له ظروف العلم والفلسفة فى ذلك الوقت أن هذه الأشياء ، مع أن لكل منها وجوداً مستقلا قائماً بنفسه ، فإن بينها اتصالا ليس فيه من شك ، وأن كلا منها هو منتج أو نتيجة لغيره ؛ فلابد حينئذ من البحث عن هذه الصلة التى تجمع بين هذه الأشياء المختلفة وتكوّن منها كلاً متحداً قوى الوحدة .

لهذا تناول كل شيء بالبحث والتحليل ، وخيل إليه أنه قد استطاع أن يرد العالم إلى أصول معينة ، وأن يثبت له وللفلسفة وحدة ليس فيها من شك ، حين وصل به التحليل إلى أن كل موجود فهو منحل بعد إزالة أعراضه إلى ثلاثة أشياء : المادة والصورة والمحرك . وأن هذه المادة إنما تكتسب صورها المختلفة بواسطة هذا المحرك لغاية من الغايات وغرض من الأغراض حكيم فى نفسه ، سواء أحسن رأينا فيه أم ساء .

على أننا نخشى إن أردنا أن نفصل هذه الفلسفة تفصيلا كافياً أن نقع فى الإسراف ، ونخشى إن أردنا أن نوجزها أن نقع فى الغموض ، فخير لنا أن نكتفى منها بما أثبتناه ، من أن أرسطاطاليس هو أول من حاول محاولة مثمرة أن يثبت وحدة العالم ووحدة الفلسفة ، وأن هذا هو أنفع ما وصل إليه من البحث فيما بعد الطبيعة .

فالبحث عن الكائن من حيث هو كائن هو موضوع الفلسفة النظرية لأرسطاطاليس ، وفيه تناول البحث عن العالم الطبعى والرياضى وعما بعد الطبيعة . ولكن أرسطاطاليس كان ، كما قدمنا ، رجلا محققاً ، مهما تعمق فى البحث العلمى فهو لا ينسى الواقع ولا الحياة العملية .

وقد قلنا إنه كان يتخذ كل شيء موضوعاً لبحثه ، ولا شك فى أن الحياة العملية شيء من الأشياء ، فلم يكن بد من البحث عنه ومن إثبات ما بينه وبين القسم النظرى من صلة ، حتى تتكون هذه الوحدة التى كان يريد تحقيقها نظراً وعملا .

فالبحث عن هذه الحياة العملية للإنسان هو موضوع القسم الثانى من قسمى فلسفته .

وقد تناول أرسطاطاليس فى هذا القسم الإنسان فبحث عنه من عدة وجوه :

نظر إليه من حيث هو شخص منفرد ، ونظر إليه من حيث هو حيوان اجتماعى ، ونظر إليه من حيث هو مفكر ، ونظر إليه من حيث هو مدبّر للأشياء .

وفى الحق إن قاعدة الفلسفة العملية عند أرسطاطاليس هى أن الإنسان حيوان اجتماعى . وما نظن أنه قد حاول أن يفرض للشخص من حيث هو شخص منفرد وجوداً حقيقيًّا . وإنما رأى أن الجماعة إنما تتألف من أفراد منفصلين بالفعل ، وأن لهؤلاء الأفراد حقوقاً وعليهم واجبات ، فلم يستطع أن يهمل هذا الانفراد بل لاحظه فى علم الأخلاق . فأرسطاطاليس إذاً لا يعترف بوجود الشخص المطلق ، وإنما يرى الفرد الإنسانى دائماً مقيداً بقيود اجتماعية مختلفة . ومن هنا لم يكن من الخطأ ولا من الإسراف أن نقول : إن الفلسفة العملية لأرسطاطاليس إنما هى فلسفة اجتماعية قبل كل شىء .

هى فلسفة اجتماعية لأن أرسطاطاليس يبحث فيها مرة عن الجماعة ومرة عن الفرد الذى هو جزء من الجماعة . فأما الفرد الذى لا يتصل بمجموع ما فلم يبحث عنه أرسطاطاليس ، وما نحسب أنه قد فكر فيه .

٩

بذل أرسطاطاليس أكثر ما بذل من الجهد فى تشييد فلسفته النظرية ، ولكن أكثر هذه الفلسفة قد مات الآن ولم يبق منه إلا نظريات معدودة فيما بعد الطبيعة .

ذلك لأن الطرق العلمية التى سلكها أرسطاطاليس كانت من السذاجة والنقص بحيث لم يكن ينتظر أن تنتهى به إلى نتائج باقية . فكل ما قاله أرسطاطاليس فى الطبيعة وخواص الأجسام ليس له الآن قيمة علمية تذكر . أما أصوله فيما بعد الطبيعة فما يزال يعتز بها نفر غير قليل من أصحاب هذا القسم من أقسام الفلسفة .

إنما القسم الخالد الذى لم يكد يفقد شيئاً من قيمته ونفعه العلميين فهو القسم العملى .

يمكننا أن نقسم هذه الفلسفة العملية أربعة أقسام :

الأول ـ البحث عن الإنسان من حيثُ إنه جماعة سياسية ، وهو الفلسفة السياسية .

الثانى ـ البحث عن الإنسان من حيث إنه فرد من جماعة له حقوق وعليه واجبات ، وهذا هو علم الأخلاق .

الثالث ـ البحث عن الإنسان من حيث إنه مفكر . وهذا هو علم المنطق .

الرابع — البحث عن الإنسان من حيث إنه مفكر يريد أن يعبر عما يجول فى خاطره من صورة وحكم . وهذا هو علم البيان .

فأما القسم السياسى من فلسفة أرسطاطاليس فيمثله كتاب السياسة . ولسنا فى حاجة إلى أن نصف ما بذل أرسطاطاليس من الجهد فى استخلاص ما يشتمل عليه هذا الكتاب من الثمرات ، فكل الناس يعرفون أنه امتحن لذلك نظماً سياسية وُجدت بالفعل ، تزيد على خمسين وثلثمائة نظام ، وأنه قد امتحن لذلك أيضاً مذاهب الفلاسفة الذين سبقوه ، لا سيما مذهب أفلاطون .

ثم عرض لنا فى هذا الكتاب مناقشته للمذاهب المختلفة القائمة فى السياسة ، ونقده للنظم السياسية المختلفة القائمة فى عصره ، ورأيه بعد ذلك فى أحسن صور الحكومة وأنفعها .

على أن نظرية من نظريات أرسطاطاليس تستحق أن يُعنى بها عناية خاصة ، لأن البحث عنها ، بل اتخاذها مذهباً ، قد استؤنف فى العصر الحديث . هذه النظرية هى قول أرسطاطاليس ، إن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية ، أى إنها هى الذرة التى لا تقبل القسمة والتى تكوّن مع ذرات أخرى تشبهها الجسم الاجتماعى . فالأسرة تنمو نموّها الطبعى فتكوّن القرية ، وهذه القرية بانضمامها إلى قرى أخرى تكوّن المدينة أو الدولة أو الجماعة السياسية .

بسط أرسطاطاليس ذلك فى الفصل الأول من الكتاب الأول من سياسته . وقد استأنف « أوجوست كونت » هذا البحث الاجتماعى فلم يزد

فيه على أرسطاطاليس شيئاً ، بل اتخذ رأيه هذا أصلا لأحد قسمى فلسفته الاجتماعية ، وهو القسم الذى يسمى « ستاتيك » أى قسم الثبات .

فنحن نعلم أن شيئين يكونان الجماعة فى رأى « أوجوست كونت » : شىء ثابت لا يتغير ، وهو أصل الجماعة وأصل نظامها ؛ وشى يتغير ويستحيل ، وهو موضوع القسم الثانى من قسمى فلسفة « أوجوست كونت » وهو الذى يسمى « الديناميك » أى المتحرك .

فنى الجماعة إذاً عند « أوجوست كونت » سكون وحركة أو ثبات واستحالة ، فبفضل هذا السكون أو الثبات تحفظ الجماعة وحدتها على اختلاف الأزمنة ، وبفضل هذه الحركة أو هذه الاستحالة تتفق الجماعة مع ما يختلف عليها من ظروف الحياة وأطوارها المتباينة .

وقد رأينا أن الأسرة التى اتخذها أرسطاطاليس وحدة اجتماعية قد اتخذها « أوجوست كونت » وحدة اجتماعية أيضاً ، وأقام عليها القسم الأول من قسمى فلسفته . وقد اعترف « أوجوست كونت » بفضل أرسطاطاليس وعدّه فى كتابه الفلسفة الوضعية أول من أسس علم الاجتماع .

ولكن شيئاً آخر لم يعترف به « أوجوست كونت » وما نشك فى أنه لم يتعمد ذلك ولم يقصد إليه ، وهو أن أرسطاطاليس هو الذى استكشف الأصل الثانى للفلسفة الاجتماعية وهو الحركة . بل ربما كان أفلاطون قد سبق إلى تصوره ووصفه بعض الشىء فى الجمهورية ، ولكن أرسطاطاليس قد وصفه فى السياسة وصفاً علمياً واضحاً لا يجعل للشك فيه سبيلا .

لم يكتف أرسطاطاليس بأن بين لنا كيف تتكون الجماعة السياسية ، بل أثبت لنا أن هذه الجماعة إذا تكونت فهى متحركة ، أى خاضعة للاستحالة والانتقال من طور إلى طور . فهى ملكية فى أول الأمر ، ثم أرستوقراطية ، ثم خاضعة لحكم الطغاة ، ثم ديموقراطية .

ولا ينبغى أن نفرض أن أرسطاطاليس لم يصف لنا الا استحالة الحكومات ، فإن الحكومة عند أرسطاطاليس صورة من صور الجماعة لا تنتقل ولا تستحيل إلا بانتقال الجماعة واستحالتها .

فأرسطاطاليس إذاً هو الذى استكشف هذين الأصلين : أصل الثبات وأصل الحركة اللذين تقوم عليهما فلسفة « كونت » الاجتماعية .

نعم إن أرسطاطاليس لم يصفهما وصفاً علميًّا مفصلا، ولم يُعطهما شكل القانون العام كما فعل « أوجوست كونت » . ولكنه استكشفهما ووصفهما وصفاً واضحاً لا شك فى أنه أعان « كونت » على وضع نظرياته المفصلة ، فإليه إذاً يرجع الفضل فى وضع علم الاجتماع .

نُلح فى ذلك ونتشدد فى إثباته ، لأن هذا الأصل الثانى الذى لم يعترف به لأرسطاطاليس هو أنفع الأصلين وأبقاهما ، فلم تظهر إلى الآن نظرية اجتماعية تحاول إنكار استحالة الجماعة وانتقالها من طور إلى طور ، بل ما زال هذا الأصل نقطة التقاء علماء الاجتماع على اختلاف آرائهم ومذاهبهم .

فأما الأصل الأول فليس له من البداهة نصيب مقبول . ذلك أن للأسرة نظاماً فيه شىء غير قليل من الترتيب والتنسيق . فالقول بأن

الأسرة هى الوحدة الاجتماعية لا يخلو من الإسراف والضعف ، لأن التحليل الصحيح يجب أن يستمر حتى يصل – إن كان هذا ممكناً – إلى أبسط الوحدات وأشدها سذاجة ، وبعيد ما بين الأسرة وبين ذلك . بل نحن لا نشك فى أن الأسرة ، كما يصفها أرسطاطاليس ، ليست أول طور اجتماعى من أطوار الإنسان ، وإنما وصل إليها هذا الاجتماع بعد أنواع من الاستحالة والانتقال غير قليلة .

لم يثبت أرسطاطاليس وجود هذه الحالة الاجتماعية فحسب بل فصلها وحاول تفسيرها ، وأصاب فى شىء كثير من ذلك . فما زالت الفصول التى كتبها عن الثورات وسقوط النظم السياسية والاجتماعية ، لتقوم مقامها نظم أخرى قيّمة ، جليلة الخطر .

هناك شىء قد أخذ به أرسطاطاليس ، وهو فى رأينا وفى رأى كثير من المحدثين ، من أحسن الأدلة على ما كان يمتاز به هذا العقل من قوة علمية ومن ميل إلى الواقع الموجود ، ذلك هو رأيه فى الرق .

كان أرسطاطاليس يرى أن الرق مشروع وأنه نافع للعبد والسيد معاً ، فخيل إلى كثير من الناس أن أرسطاطاليس كان من الدعاة إلى الرق والحاثّين عليه ، وكفى ذلك للقضاء على الفيلسوف بأنه خصم الحرية وعدوّها ، ولكن الرجل كما قلنا لم يكن يقيم نظرياته العلمية فى الهواء ولا يستمدها من الخيال ، وإنما كان يقيمها فى الخارج ويستمدها من الحقائق الواقعة . وقد كان الرق فى عصره أصلا من أصول الاجتماع ، فلم يكن بدٌّ من الاعتراف به ولم يكن بد من تعليله، لأن شيئاً فى هذا

العالم لا يقع من غير أن تكون له علة . وقد اعترف به أرسطاطاليس وبأنه مشروع ، ورأى أن علة هذا الشرع هو أن طائفة من الناس قد مُنحت من الكفاية المادية والمعنوية ما يجعلها أهلا لأن تأمر ، وطائفة أخرى قد حرمت هذه الكفاية فهى مضطرة إلى أن تطيع ، وبأن حسن الوفاق بين هاتين الطائفتين وقيام كل واحد منهما بما عليها من واجب شيء لا بد منه لحياة الاجتماع .

فأى خطأ علمى فى هذه النظرية ؟ وأين السبيل إلى أخذ أرسطاطاليس بأنه أقل من الفلاسفة المحدثين نصراً للحرية وميلا إليها ؟ ولو أننا أردنا أن نستقصى الأمر لوجدنا أن نظرية أرسطاطاليس ما زالت قائمة واقعة . برغم ما كان من رقى المدنية ومن الاعتراف بكرامة الإنسان .

فكل ما وصلنا إليه بعد عشرين قرناً ، إنما هو إزالة الرق الشخصى — إن كنا قد وصلنا إلى ذلك — فأما الرق الاجتماعى فما زال قائماً موجوداً ، والاستعمار أوضح مثال له وأقوى دليل عليه . ولسنا نريد أن نعرض لاستعباد الطبقات بعضها بعضاً ، وإن كان هذا الاستعباد صورة من صور الرق .

الرق موجود ، وأكثر الفلاسفة عنه راضون ، نعم إن هناك طائفة تنكره وتنصب الحرب له ، ولكن من قرأ أرسطاطاليس عرف أنه من أعداء الرق ، ومن الذين أعدوا لإزالته والقضاء عليه ، فهو يرى أن للرقيق شخصية خلُقية تعدل شخصية سيده، وأن قتل الرقيق جناية تعدل قتل الحر ، وأن الإساءة إليه جريمة تعدل الإساءة إلى الحر . فلم يبق إلا أن

يستحيل الرقيق ويرتقى حتى يحصُل من الكفاية على ما حصل عليه سيده ليكون حرًّا مثله .

على أن أرسطاطاليس كما قدمنا لم يدعُ إلى الرق ، وإنما اعترف به وبأنه مشروع ، ولو فعل غير ذلك لهدم قواعده العلمية .

شيء آخر يميز أرسطاطاليس من أفلاطون هو رأيه فى السياسة ، فإن حكومة أفلاطون ، كما تمثلها الجمهورية ، إنما هى حكومة حربية قبل كل شيء ، يرأسها الفلاسفة وتقوم على هدم المِلك بل على هدم الزواج ، وجعل الأشياء حقًّا مشتركاً للناس جميعاً ، وجعل النساء شركة بين الرجال ، والرجال شركة بين النساء [١] . وعلى الجملة هدم المِلك ومحوَ صلات القرابة ومحو شخصية الفرد .

ولئن كان أفلاطون قد استأنس فى إقامة نظريته بشيء من النظم اليونانية الموجودة [٢] فهو قد أسرف فى اتباع الخيال والانقياد له ، حتى أصبح كأنه قد خلق جمهوريته من لا شيء ، وأصبحت جمهوريته غير قابلة للوجود إلا فى عالم الخيال .

أما أرسطاطاليس فقد أراد أن يدرس الحكومة من حيث هى ظاهرة اجتماعية ، وأن يدرس الظواهر الاجتماعية كما درس الظواهر الطبيعية ، أى

---

(١) هذا رأى نراه ولا نشك فى صحته . وإن كان غيرنا يزعم أن أفلاطون قد كان يزدرى النساء ويخضعهن للرجال . والحق فيما نعتقد أنه كان يسوى بين الجنسين وأنه لم يكن يريد أن يكون النساء شيئاً مشتركاً . وإنما كان يريد أن يهدم الزواج حتى لا يكون للشخص ولا للأسرة وجود أمام وجود الجماعة السياسية . فالنساء شركة والرجال شركة .

(٢) كنظم سيارتا وإقريطش .

إنه أراد أن لا يعتمد فى هذا الدرس إلا على الملاحظة ، فأثبت الملك ورأى أن شيوع الأشياء غير معقول التحقيق إلا إذا استحالت النفس الإنسانية فأصبحت فضيلة خالصة ، وأثبت الزواج ، لأن عليه تقوم الأسرة وعلى الأسرة تقوم المدينة . وأنفق كل ما كان يملك من قوة فى الجدال والمناقشة ليهدم مذهب أفلاطون ، وليبين عيوب الحكومات التى اشتمل نظامها على شىء قليل أو كثير من الاشتراك .

ثم استعرض صور الحكومات الموجودة ، فوازن بينها واختار منها صورة مختلطة ليست بالملكية التى يستبد فيها الفرد، ولا بالديموقراطية التى تستبد فيها الجماعة ، ولا بالأقلية التى يستبد فيها نفرٌ من الأشراف ؛ وإنما هى حكومة وسط تمثل جميع طبقات الشعب تمثيلا صحيحاً معقولا .

وقد فصل ذلك أرسطاطاليس تفصيلا كافياً ، ووضع له النظم والقواعد . فمن شاء فليرجع إليها فى كتاب السياسة . كل هذه أشياء لا تزال قيمة يحتفظ بها الفلاسفة ويدرسونها . وهناك أشياء كثيرة لا تظهر فائدتها للفلاسفة ، ولكنها أساسية لا يستطيع التاريخ أن يستغنى عنها ، بل لولاها لضاع قسم عظيم من أقسامه ، وهو التاريخ النظامى لمدن اليونان .

فأنت ترى أن هذا الكتاب لا يزال جديداً قيماً مع أنه قد بلغ من السن ثلاثة وعشرين قرناً . ولئن لم يكن لنا أن نقول مثل ذلك فى الأخلاق ، لأن علم الأخلاق قد سلك طريقاً تكاد تغاير كل المغايرة طريق أرسطاطاليس، فليس من شك فى أن قسم المنطق والبيان لا يزالان يحفظان أكثر قيمتهما ، فقليل جداً ما أضاف العرب والأوربيون المحدثون

إلى منطق أرسطاطاليس . فأما بيانه وآراءه فى الشعر والخطابة وفى الجدل والحوار فما زالت إلى الآن قاعدة لدرس البيان الأوروبى .

فكل هذا يدلنا على أن أرسطاطاليس لم يكن يُشخص عصره الذى عاش فيه فحسب ، وإنما كان يشخص الرقى الإنسانى من وجه عام .

فآثاره العلمية تمتاز بخصلتين : الأولى أنه مثل لنا تمثيلا صحيحاً خلاصة الحياة العقلية القديمة ، والثانية أنه وضع للحياة العقلية الجديدة أصولها وقواعدها ، ورسم للإنسانية ما يجب أن تسلك إلى الرقى من سبيل .

١٠

نظام الأثينيين كتاب تاريخى ، كان واحداً من خمسين ومئة كتاب مثله تختلف طولا وقصراً ، قد حاول فيها أرسطاطاليس وتلاميذه جمع ما كان معروفاً من النظم اليونانية ، وقد ضاعت هذه الكتب ولم يبق منها إلا هذا الكتاب الذى استكشف بطريقة المصادفة ، فقد وُجد فى بعض القبور على ورق من البردى يشتمل قسم منه على هذا الكتاب ، والقسم الآخر يشتمل على شىء من الحساب . ويظهر أن هذا البردى كان قد اتخذ لفافة لجسم من أجسام الموتى . وقد كتب هذا الكتاب بثلاثة خطوط مختلفة ، ولكن الزمان قد عبث به فضاع من أوله شىء وفسد آخره .

فأما أوله الضائع فقد كان يصف أول عهد أثينا بالحياة السياسية ،

وليس بذى خطر عظيم ، لأن هذا العصر الأول إنما هو عصر قصص وأساطير حظ التاريخ منها قليل . وأما آخره المشوّه فخسارته عظمى يأسف لها الذين يشتغلون بالقانون خاصة ، لأنه كان يصف المحاكم وما كان يجرى فيها من النظم القضائية ، سواء فى ذلك نظم المرافعة وتأليف الجلسات وطريقة القضاة فى التصويت وجمع الأصوات وإصدار الحكم ثم تعيين العقوبة أو مقدار الغرامة .

أما الذين يشتغلون بالتاريخ السياسى والنظامى فقد ظفروا بشىء لا يكاد يقوَّم ؛ لأن الكتاب يذكر التاريخ السياسى والنظامى لأثينا منذ أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن الرابع قبل المسيح ، يبدأ من عصر «دراكون» سنة أربع وعشرين وستمائة ، وينتهى إلى نحو سنة خمس وعشرين وثلثمائة قبل المسيح .

والكتاب ينقسم إلى جزئين . الجزء الأول تاريخى قصَّ فيه أرسطاطاليس ما أصاب النظام الأثينى من استحالة وانتقال إلى أواخر القرن الخامس . والثانى نظامى بسط فيه المؤلف النظام السياسى والإدارى والقضائى لأثينا فى القرن الرابع . وقد بسط هذا النظام بسطاً موجزاً ولكنه شديد الوضوح . فكان هذا الكتاب من أحسن المثل لهذا العقل الذى رتب فأحسن ترتيبه ، والذى جمع لنفسه بين المزيتين اللتين لا يستغنى عنهما عالم ، وهما دقة اللفظ ووضوح دلالته على المعنى .

على أن هذا الكتاب مع أنه علمى لا يخلو من جمال فنى ، ومصدر هذا الجمال هو نفس هذا الإيجاز . فكثيراً ما ترى أرسطاطاليس قد

خط بقلمه جملة صغيرة فأوضح بها ناحية من نواحى الحياة الأثينية ، كأنه قد أرسل عليها من النور نهاراً مضيئاً .

وكثيراً ما تجد لفظاً أو وصفاً قد وُضع فى الجملة ، كأن الكاتب قد ألقاه من غير عناية ، ولكنه يمثل أحسن تمثيل أخلاق بطل من أبطال الأثينيين أو زعيم من زعمائهم . هذا إلى صدق الحكم وصحة الاستنتاج وإجادة فهم الحوادث التاريخية .

على أن المحدثين قد أنكروا عليه فهمه لبعض الحوادث ، وسنشير إلى ذلك فى موضعه . أما مراجع الكتاب فتنحصر فى ثلاثة أشياء :

١ — الآثار الأدبية التى تركها المتقدمون ، ومن ذلك روايته لأشعار «سولون» ولبعض الأغانى التى كان يتغنى بها على موائد الطعام والشراب ، والتى كانت تشير إلى بعض الحوادث السياسية .

٢ — كتب التاريخ ، فقد صرح مرة بالنقل عن «هيرودوت» . وليس من شك فى أنه قرأ «توكوديدوس» « توسيديد » واستعان به ، كما تدل على ذلك مقابلة ما كتبه الرجلان عن بعض حوادث القرن الخامس .

٣ — المصادر الرسمية والنقوش ، فكثيراً ما يذكر لنا نصوص القوانين المختلفة ، ونصوص النقوش التى كانت لا تزال موجودة فى عصره فى مواضع مختلفة من أثينا .

والكتاب ، كما هو ، أحسن صورة موجودة تمثل الحياة السياسية اليونانية ؛ وهو مع هذا صورة حية لنشأة الديموقراطية واستحالتها ورقيها قليلا قليلا حتى تصل إلى أقصى ما يقدر لها من النمو وسعة السلطان .

١١

فى هذا الكتاب بحكم الضرورة ألفاظ يونانية كثيرة ليس من سبيل إلى ترجمتها ، لأنها تدل على معان لم يعرفها المحدثون من الإفرنج والعرب . لذلك احتفظ بها المترجمون الأوربيون واحتفظت بها أنا أيضاً فى الترجمة العربية ، مفسراً كل لفظ منها تفسيراً موجزاً . ولم أشأ أن أغير صورتها اليونانية بما يسمونه التعريب . إلا فى لفظين اثنين ، سيراهما القارئ فى أثناء الكتاب . ولست أريد أن أختم هذه المقدمة الطويلة من غير أن أقدم أجمل الشكر وأطيب الثناء إلى صديق صباى وشبابى (محمود حسن زناتى) فأنا مدين له بظهور كتبى ، لأنه هو الذى أخذ نفسه بتصحيحها ومراجعتها قبل الطبع وفى أثنائه . وليس ذلك بالشىء القليل ، لا سيما إذا لوحظ أنى عن كل هذا عاجزٌ كل العجز وقاصرٌ كل القصور .

طه حسين

١٤ يناير سنة ١٩٢١

الفصل الأول

القضاء على أسرة ألكميون ايبمينيديس

بعد أن تكلم « مورون » تقدم القضاة المختارون من الأسر الشريفة فأقسموا أمام المعبد وقضوا على منتهكى حرمة الآلهة ، فاستخرجت من القبور ، وطُرحت بالعراء عظام المجرمين ، وقضى على آل ألكميون[١] بالنفى الأبدى ، وهنا أقبل أبيمينيديس الأقريطشى [٢] فطهر المدينة .

الفصل الثانى

النظام الاجتماعى فى أثينا

عبرت أثينا بعد ذلك عصراً ملؤه الاضطراب . ومصدر ذلك أنها كانت منقسمة متفرقة الكلمة لما كان بين الأرستوقراطية والشعب من الخلاف .

---

(١) اسم أسرة شريفة فى أثينا قامت بمعظم الأمر فى قتل أصحاب كولون رغم استجارتهم بمعابد الآلهة . فوصمت منذ ذلك الوقت بانتهاك حرمة الدين سنة ٦١٢ ق. م .

(٢) حكيم من حكماء إقريطش . تذكر الأساطير أنه نام خمسين سنة أوحى إليه فى أثنائها بعلم الغيب. وليس من شك فى أنه أقبل فطهر مدينة أثينا بعد ما كان من قتل أصحاب كولون ، لأن الآلهة كانت قد رمت هذه المدينة بالطاعون .

فقد كان نظام الحكم فى ذلك الوقت نظام الأقلية المطلقة ، وكان مكان الفقراء من الأغنياء مكان الخادم الذليل . كانوا كذلك هم وأولادهم ونساؤهم ، كانوا يسمون موالى « بيلاتاى » ، ومسدّسين « إكتيموروى » ، فقد كانوا يزرعون أرض الأغنياء على ألا يحفظوا لأنفسهم من ثمراتها إلا السدس .

كانت الأرض كلها بيد طائفة قليلة من الناس ، وكان الزراع إذا قصروا عن دفع ما يجب عليهم معرّضين هم وأطفالهم لأن يباعوا ، فقد كان المدين خاضعاً للقهر البدنى . وبقى الأمر على ذلك إلى عصر سولون أول رئيس للحزب الديموقراطى .

كان الشعب يألم قبل كل شىء لهذا النظام ، ويحنق ألا يكون له نصيبه من الأرض . ولكن أسباباً كثيرة أخرى كانت تبعث سخطه ؛ فالحق إنه لم يكن يملك شيئاً ما .

الفصل الثالث

النظام السياسى

إليك النظام السياسى الذى كانت تخضع له أثينا قبل « دراكون »[١]

---

(١) مشرع أثينى لم يزد على أن كتب العادات المألوفة فى أثينا وصاغها فى شكل قوانين سنة ٦٢٤ .

كان الرؤساء ينتخبون من الأسر الشريفة ، وكانت الأعمال تضاف إليهم أول الأمر طول حياتهم ، ثم أصبحت تضاف إليهم لعشر سنين .

وكانت أجل هذه المناصب خطراً وأقدمها عهداً مناصب الملك و « البوليماركوس » [1] و « الأركون » [2] . وأقدم هذه المناصب الثلاثة منصب الملك الذى كان يوجد منذ عهد « أثينا » بالحياة السياسية . ثم أضيف إليه منصب « البوليماركوس » لأن بعض الملوك أظهر ضعفاً فى الحرب . وكذلك اضطر الأثينيون إلى دعاء « يون » وآخر هذه المناصب منصب « الأركون » فقد أحدث فى حكم « ميدون » [3] كما يراه أكثر المؤرخين ، أو فى حكم « إكستوس » [4] كما يراه بعض المؤرخين .

---

(١) معنى الكلمة الحرفى : رئيس الحرب . وكذلك كان أمر من شغل هذا المنصب فإنه كان فى أول أمره قائداً عاما لجيوش الأثينيين ، ثم ضيق سلطانه شيئاً فشيئاً حتى سلب القيادة كلها وأصبح موكلا بالأجانب والغرباء يحميهم ويحمى منهم ، كما سترى فى الكتاب .

(٢) لفظ يراد به رئيس الحكومة فى أثينا ، وكان واحداً فى أول الأمر بعد سقوط الملكية ، ثم أخذ يتعدد حتى أصبح الرؤساء تسعة ، وأخص هؤلاء الرؤساء بهذا الاسم هو : الأركون إيبونوموس ، الذى كانت تسمى السنة باسمه فى تاريخ الحوادث ، فكانوا يقولون ، وقع كذا فى سنة فلان ، أو فى السنة التى كان فيها فلان أركونا . وهذا الأركون كان مختصا بالأعمال المدنية ، كما سترى ذلك مفصلا فى أثناء الكتاب .

(٣) أول أركون فى أثينا وكان أبوه « كودروس » آخر ملك جمع جميع السلطان بيده . قتل فيما تروى الأساطير سنة ١٠٤٥ ق. م. فلم يعين الأثينيون بعده ملكاً واختاروا ابنه « ميدون » أركوناً .

(٤) لم يستطع التاريخ أن يعين زمن وجوده ، ولا أن يعرف عن شخصيته شيئاً ، ومع ذلك فهو شخص تاريخى عاش بعد « ميدون » .

وهؤلاء يستدلون على رأيهم بأن الذين يشغلون هذا المنصب يُقسِـمون عند ابتداء ولايتهم : ليقومُنّ بأعمالهم كما كان يقوم بها سلفهم فى عهد « أكستوس » . وإذاً فقد نزل آل « كودروس » عن بعض امتيازاتهم فى عصر « أكستوس » لمن يشغلون منصب الأركون . وسواء أصح أحد هذين التاريخين أم الآخر ، فالأمد بين العصرين قصير . ولنا الدليل على أن هذا المنصب قد استحدث فى آخر الأمر ، فإن الأركون ليس له أن يعنى من الدين بشىء قرّره الأجداد ، بخلاف الملك .

و «البوليماركوس» إنما يعنى بأنواع من العبادات حديثة العهد ، ولهذا لم يصبح هذا المنصب ذا خطر إلا فى عصر متأخر ، بعد أن أضيفت إلى اختصاصاته اختصاصات أخرى .

أما منصب « الشسموثيتاى »[١] فلم يستحدث إلا بعد ذلك بزمن طويل ، حين كانت المناصب السابقة لا تتجاوز آجالها سنة واحدة [٢] .

كلف هؤلاء الرؤساء أن يكتبوا قرارات لها قوة القانون ، وأن يحفظوها لتكون مصدر القضاء على الذين ينتهكون حرمتها .

مثل هذا العمل يبين لنا السبب فى أن « الشسموثيتاى » كانوا لا ينتخبون إلا لسنة واحدة .

هذا هو النظام الذى تتابعت بمقتضاه هذه المناصب .

---

(١) اسم ستة من الذين يشغلون منصب الأركون ، ومعناه : المشرعون ، من لفظ « ثسموس » بمعنى القانون .

(٢) أى سنة ٦٨٤ ق . م .

لم يكن التسعة الذين يشغلون منصب الأركون يجتمعون فى مجلس واحد أول الأمر .

كان الملك يقيم فى البيت الذى يسمى اليوم « پوكوليون » بالقرب من « البروتانيون » . وآية ذلك أن العادة لا تزال جارية بأن يحتفل فى هذا المكان بالاجتماع بين زوجة الملك[1] وبين « ديونوزوس » . وكان الأركون يجلس فى « البروتانيون »[2] و « الپوليماركوس » فى « الأپيلوكيون » ، وكان هذا البيت يسمى قديماً « پوليماركيون » . ولكن « أپيلوكوس » أعاد بناءه وأصلح فيه حين كان يشغل منصب « الپوليماركوس » فسمى باسمه . وكان « الثسموثيتاى » يجلسون فى « الثسموثيتيون » . وهنا تقرر فى عصر « سولون » أن يجتمع جميع الذين يشغلون منصب الأركون .

وكان أصحاب منصب الأركون يملكون حق القضاء المطلق فى كل ما يعرض عليهم من الخصومات ، ولم يكونوا كما هم الآن مكلفين التحقيق ليس غير .

هذه حالهم .

---

(١) كان الأثينيون يزوجون ملكتهم قديماً ، وامرأة الأركون القائم بمنصب الملك حديثاً ، من « ديونوزوس » إله الخمر ، كلما احتفلوا بعيده . وهى عادة دينية اختلف المؤرخون فى تفسيرها .

(٢) بناء عام كان يوجد فى أكثر المدن اليونانية ، فيه يحتفظ بالنار المقدسة ، وفيه يجتمع القائمون بأعمال الدولة . وقد كان فى أثينا محلا لاجتماع مجلس الشورى : والپرتانوى ، وهم أعضاء مجلس الشورى الذين كانت تقع عليهم القرعة للقيام بمراقبة الأعمال العامة مع الرؤساء الرسميين .

أما « الأريوس باجوس » [١] فكان من حقه أن يسهر [٢] على حفظ القوانين ، وكان له فى الدولة السطوة المطلقة والسلطة العليا . وكان يملك الحق فى أن يقضى قضاء لا مردّ له بالعقوبة أو بالغرامة على من عرض للنظام . وكان أعضاء هذه الجماعة هم الذين أتموا عمل الأركون ، وهؤلاء إنما كانوا ينتخبون من بين الأرستوقراطية الغنية . ومن هنا كانت العضوية فى هذه الجماعة غير محدودة الأمد إلا بالموت ، وهى لا تزال كذلك .

الفصل الرابع
نظام دراكون

هذا مع الإيجاز النظام الأول ، ولكنه لم يمض زمن طويل حتى وضع « دراكون » قوانينه حين كان [٣] « أرستوكموس » فى منصب الأركون ، وهذا موجزها :

---

(١) مجلس كان يتألف من شيوخ أثينا ، سمى باسم التل الذى كان يجتمع عليه ، وهو تل « آريس » إله الحرب . وقد كان الأثينيون يزعمون أنه أنشىء للفصل بين أثينا و « بوزيدون » فيما شجر بينهم من الخلاف ، أو ليقضى فى أمر « أوريستيس بن أجاممنون » لما قتل أمه . وسيرى فى أثناء الكتاب ما اختلف عليه من الصروف . (راجع كتاب : صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان « قصة الصافحات ») .

(٢) كان هذا المجلس يجتمع ليلا .

(٣) أى سنة ٦٢٤ ق . م .

لم يكن يستمتع بالحقوق السياسية إلا القادرون على أن يشتروا أسلحتهم ، وهؤلاء كانوا ينتخبون التسعة الذين يشغلون مناصب الأركون والحفَظة الذين يقومون غلى حفظ خزائن الدولة . وكان يشترط لانتخابهم أن تكون لهم ثروة تعدل عشرة أمناء[1] خالية من كل دين ، وكانوا ينتخبون من دونهم من الرؤساء على أن يكونوا قادرين على أن يشتروا أسلحتهم . أما « لستراتيجوى »[2] و « الهيپاركوى »[3] فكان يجب أن يملك كل واحد منهم ثروة لا تنقص عن مئة مناً خالية أيضاً من الدين ، وأن يعلن أن له ولداً مشروعاً قد نشأ من زواج مشروع لا تقل سنه عن عشر سنين .

كل هؤلاء الرؤساء كانوا خاضعين ، قبل أن يؤدوا حسابهم ، لمراقبة « البروتانوى » ولمراقبة « لستراتيجوى» و « الهيپاركوى » الذين قاموا بأعمالهم فى السنة الماضية . وكان الذين يراقبون الحساب من نفس الطبقة التى كان

---

(١) جمع مناً . ذكر القاموس أنه كيل أو ميزان . وقد استعملناه هنا لترجمة لفظ يماثله فى اليونانية ، إلا أن ميمه ساكنة وألفه تتغير للإعراب . وهو باليونانية وزن يعدل ٤٤٠ جراماً ، ونقد يعدل فى الفضة مئة درهم ، وفى الذهب عشرة أمثال هذا المقدار .

(٢) جمع ستراتيجوس . ومعناه قائد الجيش. والفرق بينه وبين البوليماركوس سيظهر فى أثناء الكتاب . ومعنى ستراتيجوس : منظم الصفوف. أو مدير الأعمال الفنية فى الحرب . أما البوليماركوس. فمعناه اللغوى : رئيس الحرب. وسترى أن البوليماركوس قد سلب قيادة الجيوش ووكل بالغرباء ومنحت هذه القيادة للستراتيجوى الذين كانوا فى أول الأمر أربعة ثم أصبحوا عشرة حين تغير عدد القبائل كما سترى .

(٣) جمع هيباركوس رئيس الخيل . يراد به قائد الفرسان .

ينتخب منها « لستراتيجوى » و « الهيبّاركوى » .

أما مجلس الشورى فكان يتألف من واحد وأربعمائة عضو ينتخبون بالاقتراع بين الذين يتمتعون بالحقوق السياسية ، وكان لابد قبل أن يتقدم واحد للانتخاب فى مجلس الشورى أو فى غيره من الأعمال أن يكون قد جاوز سن الثلاثين ، ولم يكن سبيل إلى أن ينتخب أحد لهذه الأعمال مرتين ، إلا بعد أن يتقدم جميع من هم أهل للانتخاب ، وأن تظهر نتيجة الاقتراع . فى هذه الحال يستأنف الاقتراع بين جميع الأسماء .

فإن تخلّف عضو من أعضاء مجلس الشورى عن جلسات هذا المجلس ، أو عن جلسات جماعة الشعب ، قضى عليه بغرامة قدرها ثلاثة دراهم[١] ، إن كان من الذين يملكون خمسمائة « مديمنوس »[٢] ودرهمان ، إن كان من طبقة الفرسان ؛ ودرهم ، إن كان من طبقة « الزوجيتاى » [٣]

وكان مجلس « الأريوس پاجوس » حارس القوانين ، يسهر على أن يقوم كل عامل بعمله غير مخالف للقوانين ولا مناقض لها ، وكان لكل عضو من أعضاء الدولة أصابه جورْ من بعض عمالها أن يتهمه أمام مجلس « الأريوس پاجوس » على أن يبين القانون الذى خالفه هذا العامل والمظلمة

(١) استعملنا لفظة « درهم » لترجمة لفظ « الدراكما » اليونانى لما بينهما من التقارب لفظاً ومعنى ، وقد كان « الدراكما » اليونانى يزن أربعة جرامات وخمسين ومئتى ملليجرام من الفضة ، وكانت قيمته تقارب قيمة الفرنك الفرنسى .

(٢) مقدار يعدل اثنين وخمسين لتراً .

(٣) هم الذين كانوا يملكون المحراث وما يجره من الثيرة ، وأرضاً يزرعونها . وكانوا الطبقات المالكة تثمر لهم أرضهم نحو مئتى « مديمنوس » فى السنة .

التى أصابته ؛ ولكن الفقراء ، كما قدمنا ، كانوا خاضعين للقهر البدنى إذا عجزوا عن أداء الدين ، وكانت الأرض فى يد طبقة قليلة من الناس .

الفصل الخامس

عصر سولون

بدء الديموقراطية واختيار سولون موفقاً بين الأحزاب المختلفة

هذا النظام واستبداد طبقة الشرفاء بالكثرة المطلقة من الشعب حملت هذا الشعب على أن يثور بالأغنياء .

اشتد الجهاد وطال عهده ، وكان الحزبان قد وقف كل واحد منهما بإزاء خصمه ، ثم اتفقا على أن ينتخبا « سولون » ليوفق بينهما وأقاماه « أركوناً » . وقد وكلا إليه العناية بإصلاح النظام ، لأنهما كانا يذكران قصيدة له هذا أولها :

إنى لأعرف كل الشر ! وإنى لآلم لذلك ألماً قد وصل إلى أعماق قلبى حين أرى ما حلّ بهذه الأرض التى هى أول أرض يونيّة .

ثم ينال مرة من أولئك ومرة من هؤلاء ، يصوِّب كلاًّ منهم مرة ويخطئه مرة أخرى ، ويدعوهم جميعاً إلى أن يضعوا حدًّا لما شجر بينهم من الخلاف .

كان سولون بمولده وصيته يُعد من أوائل أعضاء الدولة ، وبثروته

ومكانه الاجتماعى كان من الطبقة الوسطى . ذلك شىء معروف ، على أن سولون نفسه يعلنه فى هذه الأبيات التى يدعو فيها الأغنياء إلى التلطف :

تعلموا أن تهدئوا فى قلوبكم سورة هذا الغضب ، أنتم الذين أخذوا يعافون ثروتهم الطائلة . تعلموا أن تأخذوا أنفسكم بالقصد، فلن نتخلى لكم عن شىء ولن يستقيم لكم كل شىء .

كذلك كان يلقى دائماً على الأغنياء تبعة الخلاف والانقسام ، كذلك يقول فى أول قصيدته : إنه يخشى البخل والكبرياء اللذين ينشأ عنهما البغض .

الفصل السادس

سولون

الإصلاح الاجتماعى — إسقاط الدين

لم يكد يملك سولون سلطان « الأركون » حتى حرر الشعب ، فحظر أن يتخذ فى الحال أو المستقبل شخص المدين رهينة بدينه .

شرع قوانين وأسقط جميع الديون[1] العامة والخاصة[2] ، وهذا

(١) غير أرسطاطاليس من المؤرخين يروى أن سولون لم يسقط الديون ، وإنما حظر قهر الأشخاص .

(٢) أى ديون الدولة والأفراد .

هو الإصلاح الذى يسمى « ساى سكتيا » « وضع الثقل » ، كأنه قد وضع عن أعناقهم حملا ثقيلا .

حاول بعضهم أن ينكر على « سولون » هذا الأمر ، وذلك أنه حين كان يفكر فى إسقاط الديون أفضى برأيه إلى بعض أصحابه من الأرستوقراطية[1] ، وهؤلاء ، كما يقول الديموقراطيون ، حاولوا إحباط مسعاه . ويقول الذين يريدون أن يسيئوا صوته : إنه استفاد من سعى هذه الطبقة من الأرستوقراطية .

اتفق هؤلاء الناس على أن يقترضوا مالا وأن يشتروا كثيراً من الأرض ، فلما أسقط سولون الديون بعد قليل أصبحت لهؤلاء الناس ثروة ضخمة . ويقال : إن هذا منشأ كثير من الغنى الذى يزعم أهله أنهم به قديمو عهد .

ولكن رواية الديموقراطيين أقرب إلى الحق ، والرواية الأخرى لا تكاد تقبل ، فكيف لرجل ، بلغ من القصد وحب المنفعة العامة ما بلغه سولون ، كان قادراً على أن يحول القوانين لمنفعته الخاصة ، وأن يثبت سلطانه على المدينة فلم يفعل شيئاً من ذلك ، بل جعل نفسه موضع بغض الفريقين ؛ لأنه وضع الشرف وسلامة الدولة فوق سلامته الخاصة . نقول : كيف لرجل هذه حاله أن يفعل ما يتهمه به خصومه من الأرستوقراطية ؟ أكان يمكن أن يدنس نفسه بعمل حقير دنىء كهذا ؟ وليس الذى منعه

---

(١) هم : كونون ، وكلينياس ، وهيبوتيكوس . (انظر « بلوتارخ » سولون ف : ١٥) .

من هذا قلة سلطانه ، وهو الذى طبَّ لأدواء المدينة ، على أنه قد ذكر ذلك أكثر من مرة فى شعره ، والمؤرخون لا يختلفون فيه .

إذاً فليس من شك فى أن مثل هذه التهم ليست إلا كذباً صريحاً .

الفصل السابع

سولون

الإصلاح السياسى — قوانين سولون — الطبقات الأربع التى كانت تدفع الضرائب

وضع نظاماً وشرع قوانين جديدة ، فقد نسخت قوانين دراكون ، حاشى ما يتعلق منها بالقتل ، ونقشت هذه القوانين الجديدة على ألواح مثلثة عرضت فى الرواق الملكى . وأقسموا جميعاً ليحتفظن بها . وأقسم التسعة الموكلون بمنصب « الأركون » بإزاء الحجر [1] ، وأخذوا أنفسهم بأن يقدموا تمثالا من الذهب إن خالفوا أحد هذه القوانين . ومن هذا الوقت وجد هذا العهد فى اليمين التى يحلفها « الأركون » . وقد حدد « سولون » نفسه مئة سنة لا تنسخ فيها هذه القوانين .

وإليك النظام الذى وضعه :

احتفظ بما كان من تقسيم أعضاء الدولة إلى طبقات أربع : الطبقة

(١) حجر مقدس كان يقوم فى السوق ، وكانت تقسم عليه الأيمان وتقدم عليه الضحايا .

الأولى تتألف ممن يملك خمسمائة « مديمنوس » . والطبقة الثانية من الفرسان . والثالثة من « الزوجيتاى » . والرابعة من « الثيتيس » [١] .

وحفظ للطبقات الثلاث الأولى جميع المناصب ، وهى مناصب الأركون ، وحفظة الخزانة ، والپوليتاى[٢] ، والأحد عشر [٣] ، والكولا كريتاى[٤] .

ومع هذا فقد كانت هذه المناصب حقًّا لهذه الطبقات الثلاث ، مع ملاحظة نصيبها من الثروة . أما « الثيتيس » فلم يكن لهم من الحقوق السياسية ، إلا الاشتراك فى جلسات جماعة الشعب .

وهذا هو نظام الثروة :

كان صاحب الخمسمائة «مديمنوس»[٥] من استطاع أن يحصل من أرضه على خمسمائة «مديمنوس» ، سائلا أو جامداً ، من غير اشتراط مقدار خاص لهذا أو ذاك . وكان الفارس من استطاع أن يحصل منها على ثلاثمائة مديمنوس ، أو بعبارة أخرى من استطاع أن يغذو فرساً ويقوم بحاجاته المختلفة .

---

(١) هم الذين كانوا لا يملكون شيئاً ، أو كانت ثروتهم لا تبلغ مئتى مديمنوس .

(٢) هم عشرة كانوا يقومون ببيع ما تأخذه الدولة من ثروة الذين يقضى عليهم ، وسنرى تفصيل اختصاصاتهم فيما بعد . ويرى المؤرخون المحدثون أن هذه المناصب إنما استحدثت فى القرن الخامس لا فى عصر سولون .

(٣) هم حفظة السجون ، وسنرى اختصاصاتهم فيما بعد .

(٤) هم الذين كانوا يتولون الإنفاق على الموائد العامة .

(٥) ربما ظهرت هذه العبارة غريبة قليلة المعنى ، ولكن آثرنا هذا التعبير على استعمال اللفظ اليونانى وهو « بانتا كوسيوميديمنوس » أى الخمس مئوى .

وهذا التفسير مصدره اسم هذه الطبقة نفسها الذى يدل على ركوب الفرس ، يؤيده ما كان يقدم الأولون إلى الآلهة من هدايا . فقد نرى على « الأكروپوليس » تمثالا لـ « ديفيلوس » ومعه هذا النقش : « أنتيميون ابن ديفيليوس » وقف هذا التمثال للآلهة، لأنه انتقل من طبقة « الثيتيس » إلى طبقة الفرسان . وإلى جانب هذا التمثال يقوم كالدليل تمثال فرس ، إشارة إلى طبقة الفرسان ، وهذا لا يمنع أن تكون ميزة الفرسان كميزة الطبقة الأولى مقدار ما تنتج لهم أرضهم . أما « الزوجيتاى » فهم من تنتج لهم الأرض مئتى « مديمنوس » سائلا أو جامداً ، دون أن يحدد مقدار واحد منهما .

وبقية أعضاء الدولة كانوا يؤلفون طبقة « الثيتيس » ولم يكن لهم سبيل إلى منصب ما . ومن هنا جرت العادة إذا تقدم من يرشح نفسه للانتخاب ، فسئل عن ثروته ، ألا يجيب أحد بأنها ثروة « الثيتيس » .

الفصل الثامن

سولون

الإصلاح السياسى . المناصب . الاقتراع فى الانتخاب لمنصب الأركون . الملك والنوكراروس . ومجلس الشورى . ومجلس الأريوس باجوس

أحدث سولون الاقتراع لاختيار عمال الحكومة ، ولكن بعد أن وفق بينه وبين انتخاب سابق تقوم به كل قبيلة . فكانت كل قبيلة تختار من بينها عشرة لانتخاب من يشغل منصب الأركون ، ثم يكون الاقتراع بين هؤلاء المنتخبين . ومن هنا نشأت العادة التى لا تزال جارية إلى الآن ، والتى تقضى بأن يختار بواسطة الاقتراع عشرة من كل قبيلة يقترع بينهم لتعيين العامل . ومما يدل على أن سولون قد أحدث الاقتراع فى المناصب مع ملاحظة الثروة القانون الذى لا يزال قائماً إلى الآن ، والذى يقضى بأن يقترع لحفظة الخزانة بين الذين تنتج لهم الأرض خمسمائة « مديمنوس » .

هذا ما قرره سولون لانتخاب التسعة الذين يقومون بعمل « الأركون ». وقد كانت العادة قديماً أن يدعوهم مجلس « الأريوس پاجوس » أمامه للامتحان، وألا يخلى بينهم وبين مناصبهم إلا إذا ظهرت له كفايتهم .

وقد أقر سولون ما كانت عليه الحال من قبل ، فظلت المدينة منقسمة إلى قبائل أربع لكل قبيلة ملك . وظلت كل قبيلة منقسمة إلى ثلاث « تريتّويس »[1] أو إلى اثنتى عشرة « نوكراريا » [2] لكل منها رئيس هو « النوكراروس » الذى ظل مكلفاً جباية الضرائب والقيام بالنفقات . ومن هنا ما زلنا نقرأ فى قوانين لسولون نسخت الآن أن « النوكراروس » هو الذى يجبى دخل الدولة وهو الذى ينفق خرجها .

أنشأ سولون مجلس شورى يتألف من أربعمائة عضو ، مئة عن كل قبيلة . أما مجلس « الأريوس پاجوس » فقد حفظ له سولون حماية القوانين وكلفه مراقبة النظام كما كان ذلك من قبل . ومن حيث إنه كان يملك من السلطة السياسية أعلاها وأوسعها ، فقد كان يراقب أعضاء المدينة ويوقع بمن خالف القانون ، إذ هو مالك أن يقضى بالعقوبة أو الغرامة من غير أن يكون لقضائه مردّ . وكان يؤدى إلى خزانة الحكومة ما يجتمع من الغرامات التى قضى بها من غير أن يكون ملزماً بيان السبب الذى حمله على القضاء .

وقد أضاف سولون إلى كل هذه الحقوق حقًّا جديداً هو القضاء فيما يقوم به خصوم الديموقراطية من مؤامرة لإسقاطها . هذه هى القواعد

---

(١) قسم إدارى من أقسام القبيلة يختلف المؤرخون فى أن سولون قد أحدثه أو أبقى عليه . وكان الغرض منه تيسير جمع الجنود وجباية الضرائب.

(٢) قسم إدارى من أقسام التريتوس قبل سولون أو فى عصره لنفس الغرض الذى أنشىء له التريتوس .

التى وضعها لمجلس الشورى ولشيوخ « الأريوس پاجوس » .

ولما رأى أن طائفة من أعضاء المدينة يستسلمون للمصادفة أثناء الثورة والاضطراب وضع لهم هذا القانون الغريب ، الذى يقضى أن من لم يأخذ سلاحه ولم ينضم إلى أحد الحزبين وقت الثورة كان معرضاً لأن يقضى عليه بـ « الأتيميا » [١] ، وأن يحرم العضوية فى المدينة . هذا ما يتعلق بالمناصب العامة .

الفصل التاسع

سولون

الأصول الديموقراطية التى يشتمل عليها نظامه

ثلاثة أصول فى كل ما وضع سولون من نظام كانت فيما يظهر أميل إلى تأييد الديموقراطية .

أولها وأحقها بالعناية إلغاء ما كانت قد جرت به العادة من تمكين الدائن من إخضاع المدين لأنواع القهر البدنى .

---

(١) الأتيميا : هى حرمان الفرد حقوقه المدنية والسياسية كلها أو بعضها . وهى فى أشد درجاتها من القسوة تعدل ما كان يسميه الرومان حرمان الماء والنار ، وما كان يسميه العرب فى الجاهلية الخلع ، فلنا أن نترجم « الأتيموس » وهو من قضى عليه بهذا بالخليع .

والثانى تخويل أعضاء المدينة عامة حق اتهام من اقترف الظلم على أى شخص كان .

والثالث حق الاستئناف أمام مجالس الحكم .

هذا فيما يقولون مصدر ما حصل عليه الشعب فيما بعد من قوة عظيمة ، فإن جَعْل الشعب صاحب السلطان على الانتخاب يعدل جَعْل النظام السياسى خاضعاً لأمره . ولنضف إلى هذا أن هذه القوانين كانت مكتوبة بعبارة غامضة معضلة ، كقانون الميراث و « الأپيكليروس » (١) فلم يكن بد من أن تنشأ الخصومات . ولم يكن سبيل إلى الفصل فى هذه الخصومات الخاصة أو العامة إلا بين يدى مجالس القضاء .

وقد ظن بعض الناس أن سولون تعمد إغماض هذه القوانين حتى يمنح الشعب حق القضاء فيما ينشأ من خصومة . ولكن هذا غير راجح ، والحق أن ما كان للقوانين فى ذلك الوقت من صفة عامة حال بينه وبين الكمال . ومن هنا كان من الحق علينا ، إذا أردنا أن نحكم على ما كان له من غرض ، ألا نبنى حكمنا على ما هو كائن اليوم بل على ما كان فى عصره .

---

(١) هى الأنثى التى تركت وحيدة بعد انقضاء أسرتها ، فإليها كل الثروة وعلى المدينة تزويجها لتعقب من الولد من يمثل الأسرة ويقوم بشعائرها الدينية من عبادة الموتى والنار المقدسة . وقد كان الفقه اليونانى شديد الصعوبة والتشعب فى تقرير حقوق « الأبيكليروس » وتدبير ثروتها وتقرير مصيرها .

ومصدر هذا دقة المسألة فى نفسها من جهة ، وتشدد الدين فيها من جهة أخرى .

الفصل العاشر

سولون

الإصلاح الاقتصادى . المكاييل . النقود والموازين

إذاً فهذا ما اتخذ سولون فى قوانينه من أصول سهلت رقى الديموقراطية .

كان إسقاط الدين قد سبق إعلان القوانين ، ثم تبعه زيادة المكاييل والنقود والموازين .

كانت المكاييل المستعملة فى أثينا إلى هذا العصر هى مكاييل « فيدون » [١] طاغية « أرجوس » فزاد سولون فى مقاديرها .

وكان المنا يعدل إلى هذا العصر ما يقرب من سبعين درهماً ، فبلغ به سولون مئة ، وكانت الوحدة عشرة دراهم .

وقد جعل سولون نسبة بين الموازين وبين النقود ، فأصبح « التلنتون » [٢] يعدل ثلاثة وستين مناً ، وكان المنا ينقسم إلى «ستاتير» [٣] وإلى فلوس متعددة.

---

(١) طاغية أرجوس . وهى مدينة على الساحل الشرقى لشبه جزيرة مورا ذات أثر قديم فى التاريخ اليونانى . وقد عاش فدون هذا فى القرن الثامن قبل المسيح فبسط سلطانه الفعلى أو الاسمى على معظم شبه الجزيرة . وهو أول ملك يونانى تاريخى كان على شىء من الصلة مع الشرقيين . وقد أخذ مكاييله وموازينه ونقوده عن البابليين .

(٢) كان فى الوزن يقرب من ٢٦ كيلوجراماً فى أثينا ، وفى النقود يعدل ستة آلاف درهم . وهو ما يقارب ستمائة أو ثمانمائة وخمسة آلاف فرنك .

(٣) وزن ونقد فى وقت واحد . وهو فى النقد جملة من الدراهم ، فهو يعدل عشرة فى بعض المدن وأربعة فى بعضها ، فإن أريد به النقد الذهبى فكان يعدل فى أثينا عشرين درهماً ، أما وزنه فكان يقارب الرطل ، وهو ما يسمى فى اليونانية : ليترا .

الفصل الحادى عشر

سولون

السخط العام بعد إصلاحه

لم تكد تستقيم الحال على ما قدمناه من نظام حتى أخذ الأثينيون يسعون إلى سولون ويثقلون عليه باللوم مرة وبالمسألة مرة أخرى ، عما اشتملت عليه قوانينه من قواعد . وإذ كان لا يريد أن يمس هذه القوانين ، ولا أن يبعث البغض والعداء بإقامته فى أثينا ، فقد سافر إلى مصر للدرس والتجارة . وكان يعلن أن غيبته ستطول عشرة أعوام . فقد كان يرى أنه ليس من العدل أن يبقى فى المدينة ليفسر القوانين ويؤولها ، إنما كان يجب على كل عضو من أعضاء المدينة أن ينفذ نصوص القوانين كما هى .

وفى الوقت نفسه رأى سولون أن عدداً غير قليل من الأرستوقراطية قد أصبح له عدواً لمكان إسقاط الدين ، وأن خطة الحزبين قد تغيرت بالقياس إليه ، لأن قوانينه لم تحقق لكل فريق ما كان ينتظر . فقد كان الشعب يعتقد أن سولون سيقسم الأرض بين الناس قسمة عادلة ، وكانت الأرستوقراطية تعتقد أنه سيرد المدينة إلى ما كان لها من نظام قديم ، أو أن الفرق بين نظامه وبين النظم الأولى سيكون ضئيلا .

ولكنه أبى أن يسمع لأحد الفريقين ، ومع أنه كان يستطيع أن يعتمد على أحد الحزبين فيستأثر بالسلطان على المدينة ، فقد آثر استنقاذ وطنه وشرع أعدل القوانين ، وإن عرضه ذلك للبغض والمقت .

الفصل الثانى عشر

سولون

شهادة سولون لنفسه فى إصلاحه

كذلك كان كل ما قدمنا ، يتفق على ذلك المؤرخون ، ويذكره سولون نفسه فى هذه الأبيات :

لقد منحت الشعب من السلطان ما يكفى ، من غير أن أحرمه شيئاً من حقوقه ، أو أن أضيف إليه ما ليس له . أما الذين كانوا يملكون القوّة وكانت ثروتهم تعرضهم للحسد فقد حظرت عليهم أيضاً كل إسراف. لقد وقفت أمام الحزبين محتمياً بدَرَقَتى أتقى بها من كل جانب ، ولم أسمح لأحدهما أن يتفوق ظلماً .

ثم هو يبين كيف يجب أن يساس الشعب بهذه القوانين فيقول : إنما تحسن طاعة الشعب لرؤسائه إذا لم يشتد لينهم أو عنفهم ، فهو كالفرس ينبغى ألا يغالى فارسه فى إرسال اللجام أو قبضه . فإن إفراط الثروة يستتبع العنف حين تقع فى أيدى رجال ليسوا لها أهلا .

ويقول أيضاً فى مكان آخر مشيراً إلى الذين كانوا يريدون قسمة الأرض : كان هؤلاء يقبلون ، قد ملأهم حب النهب ، يعتقد كل منهم أنه سيجد ثروة ضخمة . ومع أنى كنت أتلطف فى الحديث فقد كانوا يعتقدون أن قسوتى لن تلبث أن تظهر . لقد خابت آمالهم ، والآن ، وقد ملأهم الحقد علىّ ، أراهم ينظرون إلىّ شزراً كما ينظرون إلى عدوّ . ما بالهم يفعلون ذلك ، لقد وعدت وأعانتنى الآلهة على الوفاء . فأما ما دون ذلك فما فعلت شيئاً إلا وله علة ، فما كنت أرضى أن أتخذ قهر الطُّغاة سبيلا إلى تحقيق ما أريد ، ولا أن أرى الأخيار والأشرار يتساوون فى ملك هذه الأرض الخصبة ، أرض الوطن .

ثم يقول مشيراً إلى شقاء الفقراء الذين كانوا بالأمس أرقاء وهم اليوم أحراراً لما أسقط عنهم من دين .

وقد وضعت حدًّا لآلام الشعب ، ولمَ ؟ إنى لأستشهد أمام الزمان هذه الأم العظيمة الخيرة ، أم آلهة «أولمپوس»، هذه الأرض السوداء التى انتزعت قديماً، ما كان يقوم عليها من حد . لقد كانت أمَةً بالأمس وهى اليوم حرة . كثير عدد هؤلاء الذين رددتهم إلى أثينا ، هذا الوطن الذى أقامته الآلهة . لقد بيع كثير منهم عدلا مرة وجوراً أخرى . هؤلاء قضت عليهم الضرورة بالنفى ، فهم لا يتكلمون لغة « أتيكا » مشردين فى كل وجه . وآخرون هنا أذلاء قد أذعنوا للسطوة القاهرة ، فهم يضطربون فزعاً أمام سادتهم . لقد رددتهم جميعاً أحراراً . هذا ما فعلت بقوة القانون . لقد وفقت بين القوة والعدل فوفيت بكل وعودى . لقد شرعت القوانين

للأخيار والأشرار ، وضمنت لكل منهم نصيباً من العدل . ولو أن غيرى تولى هذا الأمر ، وكان له من سوء النية ومن الطمع ما ليس لى لما استطاع أن يحكم الشعب. فلو قد أردت أن أسمع لأحد الحزبين فأنفذ ما يريد، ثم أسمع للآخر فأحقق رجاءه ، لفقدت هذه المدينة كثيراً من أبنائها . لهذا اضطرتنى مقاومة الحزبين إلى أن أجدنى بمكان الذئب قد حصرته الكلاب من كل وجه .

ثم يقول معاتباً حين وصل إليه اللوم من كل جانب :

لأقولن للشعب ، فليس له بد من هذه الصراحة المؤلمة : إنه قد يملك الآن من الثروة ما لم يكن يحلم به ، فأما العظماء الذين هم أشد قوة وبأساً فخليق بهم أن يحمدوا بلائى وأن يتخذونى لهم صديقاً . فلو أن غيرى منح ما منحته من شرف لما استطاع أن يحكم الشعب ويهدئه دون أن يمخض اللبن [١] ليستخلص منه الزبد . ولكنى وقفت بين الفريقين كأنى بين جيشين يقتتلان حداً لا سبيل إلى تجاوزه .

الفصل الثالث عشر

حال الأحزاب بعد سولون

إذاً فقد بدأ سولون سياحته للأسباب التى قدمناها . سافر وترك

---

(١) يريد دون أن يتخذ العنف والشدة سبيلا إلى تثبيت النظام .

المدينة مضطربة . ومع ذلك فقد حوفظ على النظام أربع سنين . ولكن الأثينيين فى السنة الخامسة ، بعد أن قام سولون بمنصب « الأركون » لم ينتخبوا أحداً للقيام بهذا المنصب ؛ لشدة ما كانوا فيه من اضطراب . ثم عاد هذا الاضطراب بعد أربع سنين ، وترك الأثينيون مدينتهم من غير أن يولوا عليها « الأركون » . ثم مضت أربع سنين أخرى وانتخب « داماسياس » أركوناً . فقام بعمله سنتين وشهرين وأبعد منه قهراً . فقد رأى الأثينيين حينئذ لهذا الاضطراب أن ينتخبوا عشرة لمناصب « الأركون » : خمسة منهم يمثلون « الأوپاتريداى »[1] ، وثلاثة يمثلون الزراع ، واثنان بين العمال . هذه الجماعة من « الأركون » قامت على سلطان المدينة فى السنة التى وليت عمل « داماسياس » .

وهذا يدل على أن « الأركون » كان يملك أوسع أنواع السلطان وأشدها قوة ؛ فإن الأحزاب إنما كانت تجاهد أشد الجهاد للاستئثار بهذا المنصب . مهما يكن من شىء فما زال الأثينيون يألمون لهذه الاضطرابات الداخلية ، كان بعضهم يعلل سخطه قبل كل شىء بإسقاط الديون الذى انتهى بهم إلى الفقر ، وآخرون كانوا يعلنون سخطهم لما أصاب النظام من تغير شديد بعد هذه الثورة ذات الخطر ، وقوم آخرون كان يبعثهم على السخط ما يملأ قلوبهم من غيرة وحسد .

كان فى أثينا حينئذ أحزاب ثلاثة : حزب « الپاراليين »[2] الذى

---

(١) هم الأشراف . ومعنى الكلمة باليونانية : من حسن مولده .

(٢) هم أهل الساحل .

كان يديره « ميجاكليس بن الكميون » والذى كان يظهر الميل إلى أن يكون السلطان فى يد الطبقة الوسطى . وحزب « البيديين »[١] الذى كان يميل إلى حكومة الأقلية من الأرستوقراطية ، والذى كان رئيسه « ليكيرجوس » . وحزب « الدياكريين »[٢] وعلى رأسه « بيزيستراتوس » الذى كان يظهر أنه أشد الناس ميلا إلى نصر الديمقراطية .

وكان هذا الحزب الثالث قد عظم وكثر عدده ، فقد دعا إليه الفقر من أصابه إسقاط الديون ، ودعا إليه الخوف من كان يخشى أن يحرمه مولده حق الانتساب إلى المدينة . وآية ذلك أن الأثينيين ، بعد أن أسقطوا سلطان الطغاة ، أصلحوا السجل المدنى ومحوْا منه أسماء كثير من الناس كانوا يستمتعون بحقوقهم المدنية والسياسية ظلماً . وكان كل حزب من هذه الأحزاب يتسمى باسم المكان الذى يزرعه .

الفصل الرابع عشر

عصر بيزيستراتوس

طغيانه ونفيه

كان « بيزيستراتوس » قد اشتهر بأنه شديد النصر للديمقراطية ، وأنه

---

(١) هم أهل السهل وأصحاب الأرض .

(٢) هم أهل الجبل .

قد أحسن البلاء فى حرب « ميجار » فأقبل ذات يوم وقد جرح نفسه بيده وأقنع الشعب بأن خصومه السياسيين هم الذين أساءوا إليه، وأن ليس بُدّ من أن يمنحه الشعب حَرَساً يحميه . وكان الذى طلب ذلك إلى الشعب « أرستيون » . فأعطاه الشعب حرساً سموا حملة الدبابيس ، واستعان بهم « پيزيستراتوس » على قهر الشعب ؛ فاستولى على « الأكروپوليس »[1] لاثنتين وثلاثين سنة مضت على تشريع سولون، وحين كان « كومياس » أركوناً .

ويروى أن « پيزيستراتوس » حين طلب الحرس إلى الشعب أبى عليه ذلك سولون قائلا : لأكونن أنفذ بصيرة من بعض الناس وأشد شجاعة من بعضهم الآخر . أنفذ بصيرة من كل أولئك الذين لا يفهمون أن « پيزيستراتوس » إنما يحاول السلطان ، وأشد شجاعة من هؤلاء الذين يعلمون ذلك ثم يسكتون .

فلما رأى أن كلامه لا يغنى شيئاً علّق سلاحه على بابه وقال : إنه قد خدم وطنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وإنه الآن قد أصبح شيخاً فعلى غيره أن يقوم للوطن بمثل ما قام به .

ولكن تحريض سولون لم يجد شيئاً ، على أن « پيزيستراتوس » بعد أن تم له الأمر كان فى تدبيره للمدينة أقرب إلى عضو من أعضاء الدولة ، يجلّ القوانين منه إلى طاغية . ولم يكن سلطانه قد ثبتت أصوله حين اتفق أصحاب « ميجاكليس » و « ليكيرجوس » على طرده .

كان ذلك لخمس سنين مضت على قيامه بالأمر حين كان

(١) هى المدينة العليا أو القلعة .

« إيجيسياس » أركوناً ، ولم يمض على ذلك أحد عشر عاماً حتّى أحس « ميجاكليس » أن حزبه خارج عليه ، فأخذ يكاتب « پيزيستراتوس » سرًّا . فشرط عليه أن يتزوج ابنته، ورده إلى أثينا بحيلة تخلق بالعصور القديمة وتبين ما كان عليه الناس من السذاجة المطلقة :

أذاع فى المدينة أن الإلهة أثينا رادة « پيزيستّراتوس » إلى وطنه ، وكان قد استكشف امرأة جميلة طويلة القامة نشأت فى « الديموس » الذى يسمى « پايانيا » كما يروى هيرودوتوس ، أو بائعة تيجان من أصل تراقى فى قسم « كوليتوس » كما يقول غيره ، وكان اسمها « فويا » فألبسها لباس أثينا وأدخلها المدينة إلى جانب « پيزيستّراتوس » . وقد دخل « پيزيستّراتوس » المدينة تحمله عجلة وإلى جانبه هذه المرأة ، والشعب يستقبله جاثياً خاضعاً قد ملأه الإعجاب والتقوى .

الفصل الخامس عشر

بيزيستراتوس

نفيه الثانى وعودته

كذلك تمّت عودته الأولى ، ثم لم تمض ست سنين حتّى اضطر إلى أن يترك المدينة مرة أخرى ، فقد أصبح من المستحيل أن يثبت فى مكانه لأنه لم يرد أن يدنو من بنت « ميجاكليس » . فخاف أن يتفق

الحزبان المتعارضان ، وولّى هارباً . فاستقر أول الأمر على خليج « ترميا »[١] فى مكان يسمى « رايكلوس » ثم انتقل إلى الأرض التى تمتد حول جبل « بانجايوس »[٢] . ومن هنا جمع كثيراً من المال وحشد كثيراً من المستأجرة وسافر إلى أريتريا[٣] . وبعد أن مضى على هربه عشر سنين حاول لأول مرة أن يستعمل القهر ليسترد سلطانه على أثينا . وكان أشد الناس إعانة له على ذلك أهل طيبة و « لوجداميس » طاغية « ناكسوس »[٤] وفرسان أريتريا الذين كان بيدهم الأمر فيها . فانتصر بالقرب من معبد « پاللينى »[٥] واستولى على الأمر . واستطاع أن يثبت سلطانه بعد أن جرد الشعب من سلاحه . ثم سافر إلى « ناكسوس » وأثبت فيها سلطان « لوجداميس » .

وإليك الطريق التى سلكها لتجريد الشعب من سلاحه ، بعد أن استعرض الجيش فى أسوار « اناكيون »[٦] أظهر أنه يريد أن يخطب الناس وأخذ يتكلم بصوت منخفض . فلما أعلن الناس أنهم لا يسمعون

---

(١) سالونيك .

(٢) سلسلة صغيرة من الجبال فى تراقيا ومقدونيا تعرف الآن باسم « Pangée ».

(٣) مدينة عظيمة فى جزيرة (أوبايا) تعرف الآن باسم (باليوكاسترو) . وجزيرة (أوبايا) التى تقوم فيها هذه المدينة هى جزيرة عظيمة فى بحر إيجيا تواجه أتيكا وبويوتيا .

(٤) جزيرة يونية فى بحر إيجيا .

(٥) حى فى أتيكا كان معبده يسمى پاللينيون ، وكان معبداً للإلهة أثينا .

(٦) معبد الديوسكوروى ، وهما كستور وبولىدوكيس أخوا هيلانة زوج مينلاووس وبطلة الألياس . كان اليونان يؤلهون هذين البطلين ويزعمون أنهما إذا اشتركا فى حرب نصرا من أعاناه ، ولهذا عبدا فى جميع المدن اليونانية .

شيئاً دعاهم إلى أن يصعدوا إلى مدخل « الأكروپوليس » ليكون الاستماع عليهم ميسوراً . وبينما كان يخطب الناس أخذت طائفة كان قد أعدها لهذا الغرض تنزع الأسلحة ، فلما أتمت ذلك حفظتها فى بناء كان يقوم بالقرب من « تيزيّون » [1] ثم عادت إلى « پيزيستراتوس » وهو يتم خطبته وأنبأته بما فعلت .

فقص « پيزيستراتوس » على الشعب ما دبر وما أنفذ أعوانه ، وأعلن أن ليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهش أو إلى الحزن ، وأن الناس متى عادوا إلى بيوتهم فخليق بهم ألاّ يعنوا إلا بأمورهم الخاصة ، وأنه وحده قائم بكل ما تحتاج إليه الأمور العامة من تدبير .

الفصل السادس عشر

بيزيستراتوس

وصف حكومته

كذلك قام سلطان « پيزا يستراتوس » وكذلك اختلفت عليه الصروف . وقد حكم « پيزيستراتوس » المدينة كما قدمنا وهو إلى إجلال القوانين أقرب منه إلى انتهاك حرمتها . وقد كان سهل الجانب حلو الخلق حليماً رفيقاً . وكان يقرض الفقراء ما يمكنهم من أن يستثمروا أرضهم ،

---

(١) معبد (تيزيوس) البطل الأثينى المعروف .

وإنما كان يفعل ذلك لشيئين :

الأول أنه كان يريد أن يتفرق هؤلاء الناس فى الأرض ليزرعوها وألا يعيشوا فى المدينة ، فإذا فرغوا لاستثمار الأرض فنمت ثروتهم لم يكن لهم من الرغبة ولا من الوقت ما يمكنهم من الالتفات إلى الأمور العامة .

الثانى أنه كلما زرعت الأرض واستثمرت نمت ثروته وكثر دخله ، لأنه كان يجنى الضريبة على ما تثمر الأرض . ولهذا كله أقرّ قضاة فى الضواحى . وكان يخرج بنفسه من حين إلى حين ليلاحظ كل شىء وليفصل بين المتخاصمين حتى لا يحتاج الزراع إلى أن يتركوا مزارعهم ويحضروا إلى المدينة .

وقد خرج مرة فجرت له هذه الحادثة المعروفة ، وهى أنه رأى رجلا يزرع فى الأرض التى تحيط بـ « الهوميتوس »[1] حقلا يعرف منذ ذلك الوقت بالحقل الصريح ، ورأى أنه لا يقلب إلا الحصى ، فأمر عبده أن يسأل الرجل ماذا تثمر له هذه الأرض ؟ فأجاب الرجل : لا تُثمر لى إلا العناء . ومع هذا فإن « پيزيستّراتوس » يجنى عليها الضريبة . فأعجب « پيزيستّراتوس » بهذه الصراحة وبمحاولة الرجل استثمار أرضه على جدبها ، وأعفاه من كل ضريبة .

ولم يتخذ فى حكومته شيئاً مسيئاً أو محنقاً ، إنما عمل فى سبيل السلم ، واستطاع أن يحفظ الأمن والهدوء فى داخل المدينة . ومن هنا نشأ هذا المثل الذى ردده الناس كثيراً من بعده : « إن الحياة فى سلطان

---

(١) جبل فى أتيكا يقع فى جنوب أثينا ، واسمه الآن : تريلوفونى .

بيزيستراتوس لهى الحياة فى عصر كرونوس [١] » .

وإنما استحال سلطانه إلى ظلم وقسوة فى زمن متأخر بعد أن أسرف أبناؤه واسترسلوا فى الطغيان ، وإنما كان يحمد الناس له سيرته التى كانت تظهر رفقه وحبه للشعب ، على أنه أطاع القوانين فى كل تدبيره للمدينة من غير أن ينتحل لنفسه سلطة غير مشروعة . ولقد دُعى يوماً أمام مجلس « الأريوس پاجوس » متهماً بالقتل ، فحضر مجلس الحكم كرجل يريد أن يدافع عن نفسه وفزع المتهم فلم يحضر .

ومن هنا طال سلطانه ، واستطاع أن يسترد الملك مع يسر وسهولة كلما أبعد عنه . فقد كان له حب كثير من الأشراف ، وحسن استعداد الشعب ، لأنه كان مستوى الميل إلى الحزبين ، فاكتسب بعض الناس بالصداقة وبعضهم بمآثر خاصة . وكانت قوانين الأثينيين التى شرعت لاتقاء طغيان الطغاة هينة قليلة القسوة ، لا سيما القانون الذى شرع لمن يميل إلى الطغيان أو يعد له ، وهذا نصه : إن القوانين الأثينية التى شرعها آباؤنا تقضى بأن من مال إلى الطغيان أو أعد له فهو معاقب هو وذريته بالآتميا .

---

(١) أبو كبير الآلهة ذوس ، وكان اليونان يزعمون أن عصره هو العصر الذهبى لا شقاء فيه .

الفصل السابع عشر

بيزيستراتوس

موته وسلطان أبنائه

وصل « پيزيستراتوس » إلى الشيخوخة وهو قائم بتدبير المدينة ، ومات حين كان « فيلونيوس » أركوناً . وكان قد مضى على اغتصابه للملك ثلاث وثلاثون سنة ، قضى منها تسع عشرة سنة مالكاً للأمر ، وقضى ما بقى فى النفى . ومن هنا كان من الخطأ الذى لا شك فيه القول بأن سولون قد أحب « پيزيستراتوس » وأن « پيزيستراتوس » كان زعيم الأثينيين فى الحرب التى نصبوها لـ « ميجار » لأخذ جزيرة « سلامين » . فإن سن الرجلين تجعل هذا الفرض مستحيلا ، ويكفى أن نقارن بين عصرى حياتهما وتاريخى موتهما .

قام أبناؤه بالأمر من بعده ومضوا فيه على سنة أبيهم ، وكان قد ولد له من زوجة أثينية مشروعة ولدان « هيبياس » و « هيپاركوس » ومن زوجة «أرجية» ولدان آخران ، هما : «يوفون» ، و«هيجيز يستراتوس». وكان هذا الأخير يلقب « تيتالوس » فقد كان « پيزيستراتوس » تزوج امرأة من « أرجوس » وهى ابنة أحد أعضاء هذه المدينة ، واسمه « جورجيلوس » واسمها « تيموناسا » كانت قبل ذلك زوجة « لأركينوس » من مدينة

« أمبراكيا » ومن أسرة « كوبسيليديس » ، وكان هذا الزواج الثانى « لپيزيستراتوس » مصدر حلف بينه وبين « أرجوس » . وكان « هيجيزيستراتوس » قد قاد ألفاً من أبنائها إلى الموقعة التى كانت بالقرب من معبد « پاللينى » . ويزعم بعض الرواة أن هذا الزواج قد عقد أيام النفى ، ويزعم آخرون أنه قد عقد بينما كان الأمر بيده .

الفصل الثامن عشر

البيزيستراتيّون

مؤامرة أرموديوس وأريستوجيتون

آل الأمر بحق المولد والبكورة إلى « هيبّاركوس »[1] و « هيبياس » . كان «هيبياس» أكبرهما شديد الجد ميالا إلى العناية بالأمور العامة، فأخذ بيده أعنة الحكم . وكان « هيبّاركوس » يميل إلى أخلاق الشبان محبًّا صديقاً لآلهة الشعر فهو الذى دعا إلى أثينا « أنا كريون »[2]

(١) ينكر « ترسيديد » أن يكون « هيباركوس » قد شارك أخاه « هيبياس » فى الأمر ، ويرى أن القول بذلك مصدره جهل الشعب وعدم ترويه . وليس من شك فى أن أرسطاطاليس قد قرأ توسيديد ، فأى الرجلين أحرى بالثقة . (انظر توسيديد فصل : ٢٠ — الكتاب الأول) .

(٢) شاعر غزل تغنى الحب والخمر . ولد فى جزيرة تيوس نحو سنة ستين وخمسمائة ق.م .

و « سيمونيديس »(١) وغيرهما من الشعراء . أما « تيتّالوس » فقد كان أشد شباباً وكانت له سيرة ملؤها الجرأة والعنف . وهو مصدر ما ألم بهذه الأسرة من شقاء .

أحب « أرموديوس » ولم يلق جزاء حبه . لم يستطع أن يملك نفسه ويكبح جماح طبيعته العنيفة بل أظهر غيظه لا سيما فى هذه الفرصة . كان من حق أخت « أرموديوس » أن تكون من حاملات الأسفاط فى حفل أثينا ، فأبى عليها ذلك مهيناً أخاها « أرموديوس » وواصفاً له بالخنوثة . فحنق لذلك « أرموديوس » واتفق مع « أريستوجيتون » ونفر كثير من أعضاء المدينة واثتمروا بمحاولة ما هو معروف . فلما كان يوم العيد أخذوا يرقبون « هيبياس » وهو يستعد على « الأكروپوليس » لاستقبال الحفل الذى كان ينظمه فى المدينة « هيپاركوس » فرأيا أحد شركائهم يتحدث إلى « هيبياس » تحدث الصديق ، فظنا أنهما قد خُدعا وأرادا أن يضربا ضربة على الأقل قبل أن يؤخذا ، فانحدرا إلى المدينة منفردين متعجلين ، وصادفا « هيباركوس » بالقرب من « ليوكوريون »(٢) حيث كان ينظم الحفل فقتلاه . وكذلك فشلت مؤامرتهما لأنهما تسرعا . فأما « أرموديوس » فلم يلبث أن قتله الحرس وأخذ « أريستوجيتون » فلقى قبل موته عذاباً طويلاً أليماً .

---

(١) شاعر غنائى أجاد المدح والرثاء . ولد فى جزيرة كيوس نحو سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ق.م .

(٢) معبد فى أثينا ، (انظر الفصل الذى أشرنا إليه آنفاً من كتاب ، توسيديد) .

وقد اتهم فى أثناء تعذيبه أشخاصاً كثيرين عرفوا بشرف المولد وبما كان بينهم وبين الطغاة من صداقة . وعجز هؤلاء فى أول الأمر عن استكشاف أثر ما من آثار المؤامرة ، وليس من الحق ما زعموا أن « هيبياس» قد نزع من المحتفلين أسلحتهم واستطاع بذلك أن يفجأ من كانوا قد اتخذوا الخناجر ، فلم يكن الأثينيون يخذلون فى ذلك الوقت مسلحين ، إنما استحدثت الديموقراطية هذه العادة فى زمن متأخر .

ويقول أنصار الديموقراطية أن « أرموديوس » [1] إذا كان قد اتهم أمام الطغاة أصدقاءهم ، فإنما تعمد ذلك ليحمل هؤلاء الطغاة على اقتراف الإثم ، ولينقص من قوتهم بحملهم على قتل أصدقائهم الأبرياء . ويقول آخرون إنه لم يخترع شيئاً، وإنما كان يتهم شركاءه فى الجريمة حقاً . فلما رأى أن كل ما كان يبذل من الجهد لم يكن ليذيقه الموت ، أعلن أنه ذاكرٌ أسماء طائفة كثيرة من الشركاء ، وأقنع « هيبياس » بوجوب مصافحته تأكيداً لصدق ما يقول . فلما صارت يد « هيبياس » فى يده أخذ يهينه وينعى عليه لأنه يصافح قاتل أخيه . فاغتاظ لذلك « هيبياس » ولم يملك نفسه غضباً واستل سيفه فقتله .

---

(١) كذا بالأصل اليونانى . وصوابه « أريستوجيتون » ولا شك فى أن هذا سهو من الناسخ . فقد بين لنا المؤلف أن « أرموديوس » قد قتله الحرس » .

الفصل التاسع عشر

البيزيستراتيون

طغيان هيبياس وسقوطه

ومنذ ذلك الوقت اشتد طغيانه وقسوته شيئاً فشيئاً ، فقتل عدداً غير قليل من أعضاء المدينة ، ونفى آخرين انتقاماً لأخيه ، وحذره الناس جميعاً .

مضت على ذلك ثلاث سنين رأى فيها « هيبياس » أنه غير آمن فى المدينة فأخذ يحصن « مونيكيا »[١] ، مقدراً اتخاذها له منزلا . وكان العمل فى ذلك قد بدأ حين طرده « كليومينيس »[٢] ملك « سبارتا » .

كان الوحى قد أعلن فى كل وقت أن أهل « سبارتا » هم وحدهم مديلو دولة الطغاة ، وإليك كيف وصلت إلى ذلك فى أثينا :

كان المنفيون ، وعلى رأسهم آل الكميون ، عاجزين عن أن يعودوا إلى المدينة لضعف قوتهم ، وكانوا كلما حاولوا ذلك فشلوا فيه ، فقد حصنوا مثلا « ليبسيدريون »[٣] دون جبل « البارنيس »[٤]وأقبلت طائفة

---

(١) ثغر فى أتيكا .

(٢) ملك من سنة تسع عشرة وخمسمائة إلى سنة تسعين وأربعمائة .

(٣) هو اسم ما يقع فى « أتيكا » من جبل « البارنيس » .

(٤) جبل على الحدود بين « أتيكا » و « بويوتيا » يعرف اليوم بجبل « أوزاس » .

من الأثينيين فانضمت إليهم . ولكن الطغاة حاصروهم فيه وأخرجوهم منه ولذكرى هذا الفشل تغنى الناس على موائدهم بعد ذلك بزمن طويل هذه الأغنية : لتلعن الآلهة « ليبسيدريون » خائن الأصدقاء ، أىّ رجال أهلكت . شجعان فى الحرب كرام المولد قد أظهروا يومئذ أنهم أبناء كرامٍ لآباء كرام .

فلما أيسوا من الفوز فى كل ما حاولوا أمضوا عقداً على أن يعيدوا بناء المعبد فى « دلف » . وقد أتاح لهم ذلك [١] مضافاً [٢] إلى ما كان لهم من ثروة ضخمة ، أن يؤكدوا الحلف بينهم وبين سبارتا .

وفى الحق إن كاهنة المعبد أخذت كلما دخل رجل من أهل سبارتا أمرته بتخليص أثينا . وما زالت بأهل سبارتا حتى حملتهم على إعانة المنفيين ، برغم ما كان بينهم وبين « البيزيستراتيين » من صلات الضيافة . على أن ما كان من المحالفة [٣] بين « البيزيستراتيين » وبين « أرجوس » لم يكن قليل الأثر فى حمل سبارتا على إعانة المنفيين . فأرسلت بطريق البحر جيشاً يقوده « انكيمولوس » . ولكن « التسالى كمياس » أقبل فى ألف فارس لإعانة « البيزيستراتيين » فانهزم « نكيمولوس » وقتل .

---

(١) لأن سبارتا كانت قد أخذت نفسها بحماية المعبد وتأييده ، فكل عمل حسن يمسه فقد كان يرضيها .

(٢) إشارة إلى ما عرف به أهل سبارتا وملوكها خاصة من بيعهم أنفسهم وقبولهم الرشوة .

(٣) كان العداء شديداً قديم العهد بين «سبارتا» و « أرجوس » وكان « كليومينيس » هذا من أشد أهل سبارتا حرصاً على حرب «أرجوس» وقد حاربها فقهرها وكاد يأخذها عنوة .

اغتاظ أهل سبارتا لهذا الفشل فأرسلوا من طريق البر جيشاً أقوى من الجيش الأول يقوده الملك « كليومينيس » . فحاول الفرسان « التساليون » عبثاً أن يمنعوا هذا الجيش من دخول « أتيكا » فما زال بهم « كليومينيس » حتى فرقهم ، واضطر « هيبياس » إلى السور الذى يسمى « بيلارجيكون »[١] فحصره فيه بمعونة الأثينيين .

لم يكن « كليومينيس » قد برح « أتيكا » حتى أسر أبناء « البيزيستراتيين » الذين كانوا يحاولون الهرب . فلم يلبث الطغاة أن فاوضوا فى الصلح على أن تسلم حياة أبنائهم . فأجلوا خمسة أيام لنقل ما كان لهم ثم أسلموا « الأكروپوليس » إلى الأثينيين ، حين كان « أرپاجيديس » أركوناً . وقد مضى على موت أبيهم سبع عشر سنة كاملة . فإذا أضفنا إليها مدة سلطان « بيزيستراتوسس » كان حكم الطغاة قد أخضع أثينا تسعاً وأربعين سنة .

الفصل المتم العشرين

حال الأحزاب بعد طرد الطغاة

لم تكد تسقط دولة الطغاة حتى ظهرت الخصومة والمنافسة بين

(١) سور « الأكروبوليس » كان الأثينيون يزعمون أنه بناء « البيلاجيين » وهم سكان الأرض الأقدمون .

« إيزاجوراس بن تيزاندروس » صديق الطغاة وبين « كليستينيس »[١] من آل « الكميون » . رأى « كليستينيس » أنه أضعف من أن يقاوم اتفاق خصومه السياسيين فجلب إلى نفسه الشعب بما حاول من جعل الحكومة فى يد الكثرة المطلقة ، واشتد أثره ففاز على منافسيه . حينئذ دعا « إيزاجوراس » مرة ثانية « كليومينيس » لما كان بينهما من صلة الضيافة ، وأقنعه بوجوب طرد الآثمين . فما زالوا يعتقدون أن آل « الكميون » لا يزالون مدنسين بإثم آبائهم . فهرب «كليستينيس » مع طائفة قليلة . ونفى « كليومينيس » سبعمائة أسرة أثينية . وحاول بعد ذلك أن يحل مجلس الشورى وأن يجعل الحكم إلى « إيزاجوراس »[٢] وثلثمائة من أصحابه . ولكن مجلس الشورى قاوم ، وجمع الشعبُ قوته . ولجأ « كليومينيس » و « إيزاجوراس » وأنصارهما إلى « الأكروپوليس » . فأحاط به الشعب وحاصره يومين كاملين ، ثم أباح الخروج لـ «كليومينيس» وأنصاره

(١) هو ابن « ميجاكليس » الذى كان رئيساً لحزب أهل الساحل الذين كانوا يتوسطون بين الديمقراطية الغالية والأرستقراطية المتطرفة . وكان « ميجاكليس » قد تزوج بنت طاغية عظيم السطوة فى مدينة « سكيون » يقال له «كليستينيس » فسمى ابنه باسمه . وهذا الذى يذكره أرسطاطاليس من سيرة «كليستينيس » يدلنا على استحالة هذا الحزب المعتدل واشتداد ميله إلى الديموقراطية ، وما بذله من جهد فى استرضاء الشعب وتحويله عن الطغاة الذين كانوا له أنصاراً .

(٢) كانت « سبارتا » تكره الطغاة وتنصب لهم الحرب ، ولكنها كانت تكره الديموقراطية أيضاً ولا تؤيد إلا الأرستوقراطية ، وإلا الأرستوقراطية التى تستبد الأقلية فيها بالسلطان .

بمقتضى هدنة ، ودعا « كليستينيس » والمنفيين .

فلما استرد الشعب سلطانه وكل الأمر إلى « كليستينيس » كفؤاً لزعامة الحزب الديموقراطى . وفى الحق إن طرد الطغاة إنما كان صنيعة لآل « الكميون » لأنهم كانوا دائماً يحرضون على الثورة . وكان « كيدون » قد حاول قبلهم طرد الطغاة . ومن هنا كانوا يتغنون تشريفاً له على الشراب : يا غلام ، املأ القدح تشريفاً لـ « كيدون » واحذر أن تنساه إن ملأت قدحاً تشريفاً للشجعان .

الفصل الحادى والعشرون

عصر كليستينيس

رقى نظم سولون الديموقراطية . القبيلة والديموس

لهذه الأسباب نال « كليستينيس » ثقة الشعب . ولما ترأس « كليستينيس » الحزب الديموقراطى أنفذ ما كان يريد من إصلاح ، حين كان « إيزاجوراس » أركوناً ، لثلاث سنين مضين من سقوط الطغاة .

فبدأ بأن قسم الأثينيين إلى عشر قبائل ، ولم يكونوا ينقسمون إلى ذلك الوقت إلا إلى أربع ، ولكن « كليستينيس » أراد أن يشتد اختلاط الناس واتصال بعضهم ببعض ، وأن يكون الحكم بيد الكثرة المطلقة منهم .

ومن هنا نشأت هذه الحملة التى كانت توجه فيما بعد إلى من كان يحاول إصلاح « ثبت » الأسر : لا تمسّ القبائل .

زاد « كليستينيس » عدد مجلس الشورى فجعله خمسمائة ، يمثل كل قبيلة فيه خمسون . وكانت كل قبيلة فى أول الأمر تقدم إلى مجلس الشورى مئة عضو . وإنما عدل عن تقسيم الشعب إلى اثنتى عشرة قبيلة مخافة أن يسقط فيما جرى عليه النظام القديم من تقسيمه إلى اثنتى عشرة « تريتّويس » . فقد كانت كل قبيلة من القبائل الأربع تنقسم إلى ثلاث « تريتّويس » وكان هذا النظام غير كاف لاختلاط الشعب .

وقد قسم الأرض إلى ثلاثين « ديموس » عشرة حول المدينة وعشرة فى « پارالیا »(١) وعشرة فى « ميزوجيا »(٢) ، وهذه الأقسام التى سماها « تريتّويس » وزعت بواسطة الاقتراع على القبائل العشر ، لكل قبيلة منها ثلاث . فأصبحت كل قبيلة منتشرة فى جميع « أتيكا » . وألف أهل كل قسم من هذه الأقسام طائفة محصورة تسمى « ديموتاى » . ولأجل ألا تنم أسماء الأجناس القديمة على الأعضاء الجدد فى المدينة قرر « كليستينيس » ألا تستخدم إلا الأسماء المتخذة من « الديموس » .

من ذلك الوقت ، ليس غير ، استعملت الأسماء المشتقة من « الديموس » . وقد أضاف « كليستينيس » إلى « الديماركوس »(٣)

(١) الساحل .

(٢) أتيكا الوسطى . ومعنى الكلمة الحرفى : وسط الأرض .

(٣) هو رئيس الديموس .

ما كان يقوم به « النوكراروس » قديماً من العمل ، فإن « الديموس » كان قد قام مقام « النوكراريا » . فأما أسماء « الديموس » فقد استعارها من أسماء الأماكن ، أو من أسماء الأشخاص الذين أنشأوا القرى ؛ لأن كثيراً من هذه « الديموس » لم يكن له اسم معروف .

فأما الأسر التي كانت تؤلف « الفراتريا »[١] والتي كانت تمتاز بنظام ديني خاص ، فقد تركها على حالها احتفاظاً بالسنة القديمة . وقد تسمت القبائل العشر بأسماء عشرة من الأبطال عينتهم كاهنة « أبولون » بين مئة اسم كانت قد أعدت من قبل .

الفصل الثاني والعشرون

كليستينيس

الصفة الديموقراطية لنظامه . الأوستراكيسموس

أصبح النظام الأثيني بعد هذا الإصلاح أشد قرباً إلى الديموقراطية منه في عصر سولون . ذلك أن الطغاة لما أهملوا[٢] قوانين سولون ، كانوا

(١) ترجمتها الحرفية : أخوة . وكانت هذه الكلمة تطلق على جماعات دينية لم تكن تخلو منها مدينة يونانية أو رومانية .

(٢) ذكر أرسطاطاليس أن « بيزيستراترس » قد احتفظ بقوانين سولون . فلعل أبناءه هم الذين أهملوها . ومهما يكن من شيء فلا شك في أن الطغاة لم يحتفظوا بالقوانين الديموقراطية كل الاحتفاظ .

كأنهم قد نسخوها . وكان « كليستينيس » كأنه قد وضع نظماً جديدة مال فيها إلى إرضاء الشعب ، ومن بين هذه النظم « الأوستراكيسموس »[١]

ولم تمض على هذه القوانين أربع سنين حتى أخذ مجلس الشورى بأن يُقسم أعضاؤه اليمين ، التي لا يزالون يُقسمونها إلى الآن . وذلك حين كان « أرموكريون » أركوناً ثم تقرر بعد ذلك أن ينتخب لمنصب « الستراتيجوس » عشرة[٢] ، واحد عن كل قبيلة . وكان « للبوليماركوس » قيادة الجيش كله .

ومضت على ذلك إحدى عشرة سنة ، ثم كانت واقعة « ماراثون »[٣] التي انتصر فيها الأثينيون ، حين كان « فاينيپوس » أركوناً . ومع أن هذا الانتصار كان قد شجع الشعب وجرأه ، فقد بقي قانون « الأوستراكيسموس » سنتين من غير أن يحاول تنفيذه لأول مرة . وإنما شرع هذا القانون . لاتقاء رؤساء الأحزاب إذا عظمت قوتهم ، فقد كان الأثينيون يذكرون أن « بيزيستراتوس » كان رئيس الحزب الديموقراطي حين اغتصب السلطان ، وكان أول من أصابه هذا القانون أحد أقارب الطاغية ، وهو

---

(١) قانون أثيني كان يقصد به اتقاء من عظم أثره من زعماء الأحزاب وأصبح خطراً على الديموقراطية . وقد اشتق اسمه هذا من « أوستراكون » وهي قطعة من الفخار كان يكتب عليها اسم من يراد القضاء عليه . وكان الأثينيون إذا أقروا تنفيذ هذا القانون على أحد أبعدوه عشر سنين من غير أن يحرموه حقاً ما من حقوقه .

(٢) كانوا أربعة من قبل .

(٣) أول وقعة من وقعات الحروب الميدية في أوربا انتصر فيها الأثينيون وحدهم سنة تسعين وأربعمائة قبل المسيح .

« هيبّاركوس » ابن « كارموس » الكولونى ، كان « كليستينيس » قد أراده حين شرع هذا القانون ، وكان يريد نفيه .

وذلك أن الأثينيين لما فطروا عليه من اللين وحسن الشيمة كانوا قد تركوا أصحاب الطغاة فى المدينة من غير أن يعرضوا لهم بسوء ، ولا سيما الذين لم يعينوا الطغاة إبان الاضطراب. وكان زعيم هذا النفر « هيبّاركوس »

وفى السنة التالية حين كان « تيليسينوس » أركوناً انتخب لمنصب الأركون تسعة بواسطة الاقتراع . وقد انتخبوا من طبقة الذين يملكون خمسمائة « مديمنوس » ، والذين كان الشعب قد عينهم من قبل .

وهذه أول مرة منذ عصر الطغاة اصطنع فيها الاقتراع ، وكانت قد جرت العادة أن ينتخب الأركون بواسطة التصويت .

وفى هذه السنة نفسها قضى « بالاوسترا كيسموس » على « ميجا كليس» ابن « إيبّوكراتيس » الألوبيكى. ومكثوا ثلاث سنين أيضاً لا ينفذون هذا القانون إلا على أصحاب الطغاة ، ثم بدأوا فى السنة الرابعة ينفذونه على كل عضو عظمت قوته من أعضاء الأحزاب الأخرى . وكان أول من أصابه القانون من غير حزب الطغاة « كسانتيبوس »[١] بن « أريفرون » .

مضت على ذلك سنتان واستكشفت مناجم « مارونيا » حين كان « نيكوميديس » أركوناً . وأخرجت هذه المناجم فى زمن قليل مئة « تالانتون » . فعرض بعضهم أن تقسم هذه الفضة على الشعب ، ولكن

---

(١) هو أبو بيريكليس .

« تيميستكليس » أبى ذلك ، ومع أنه لم يبين الوجه الذى كان يريد أن ينفق فيه هذا المال فقد عرض أن يُقرض للمئة الذين هم أكثر أهل المدينة ثروة لكل واحد منهم « تالانتون » . فإن أقر الشعب إنفاق هذا المال فيما أنفق فيه أضيفت هذه النفقات إلى حساب الدولة ، وإلا اضطر المقترضون إلى أداء دينهم ، وعلى هذا الشرط أذن له أن يتصرف فى المال . فأمر كل واحد من هؤلاء المئة أن يصطنع سفينة ذات ثلاثة صفوف من المقاذيف . وإنما حارب الأثينيون أعداءهم من البرابرة فى « سلامين » بهذا الأسطول . وفى نحو هذا الوقت قضى «بالاوسترا كيسموس» على «أرستيديس » بن « لوسيماكوس » .

والثلاث سنين مضين من هذا كانت غارة « كسرسيس »[1] حين كان « هوبسيكيديس » أركوناً ، فقرر الأثينيون إرجاع كل من قضى عليهم « بالأوسترا كيسموس » ، وقرروا أن ليس لمن قضى عليهم « بالأوسترا كيسموس » أن يتجاوزوا منازلهم ما بين رأس « جيرايستوس » و « إسكولايون » . فإن فعلوا عرضوا أنفسهم لفقد حقوقهم السياسية جميعاً .

(١) سنة ثمانين وأربعمائة .

الفصل الثالث والعشرون

عصر الأريوس باجوس

رقى الديموقراطية الأثينية وحكمتها

إرستيديس وتيميستوكليس

كذلك استمرت أثينا تعظم وترقى شيئاً فشيئاً مع الديموقراطية . فبعد أن كانت الحروب الميدية استأثر شيوخ « الأريوس پاجوس » بالحكم ودبروا أمر المدينة ، من غير أن ينالوا هذا السلطان بقرار من الشعب ، وإنما كان مصدر ذلك حسن ما أبلوا فى معركة « سلامين » ، حين يئس « الستراتيجوى » من الجمهورية ، وأعلنوا أن على كل فرد أن يبحث عن نجاته وسلامته . فقد جمع هؤلاء الشيوخ المال وأعطوا كل مقاتل ثمانية دراهم وأركبوهم السفن . ومن هنا أذعن الشعب لسلطانهم واستحقت حكومة أثينا حسن الثناء . فإن الأثينيين فى هذا الوقت أحسنوا تجربة الحرب واكتسبت مدينتهم مجداً عظيماً بين مدن اليونان ، واضطرت سبارتا إلى أن تنزل لها عن سيادة البحر . وكانت رياسة الحزب الديموقراطى فى ذلك الوقت لـ « أرستيديس » بن « لوسيماكوس » و « تيميستوكليس » ابن « نيوكليس » وكانت لأحدهما زعامة الحرب وللآخر شهرة بالمهارة السياسية وعدالة ميّزته من معاصريه . ومن هنا كان أحدهما قائد أثينا ، والآخر مشيرها السياسى .

تعاونا على إقامة أسوار المدينة وإن اختلفا فى الرأى . وكان « أرستيديس » قد تربص الفرصة التى ساءت فيها سمعة أهل سبارتا ، لقبح سيرة « پوسانياس »[١] . فقطع ما كان بين سبارتا وبين اليونيين من صلة وحلف . وهو أيضاً الذى أخذ المدن المحالفة بدفع ضريبة إلى أثينا ، حين كان « تيموستينيس » أركوناً . وأخذ اليونيين بأن يقسموا على أن يكون عدو أثينا عدواً لهم وصديقها صديقاً لهم . وتوثقاً بذلك ألقوا فى البحر كتلاً من الحديد أحميت فى النار حتى احمرت .

الفصل الرابع والعشرون

الأريوس باجوس

ارستيديس يجذب الأثينيين إلى المدينة

قسوة السيادة الأثينية

ثم اجترأت أثينا وكثر ما كان ينصب فيها من الثروة ، فنصح

---

(١) ملك سبارتا الذى انتصر على الفرس فى موقعة « بلاتيا » سنة تسع وسبعين وأربعمائة . أحسن البلاء فى مطاردة الفرس واستنقاذ المدن الأسيوية من سلطانهم . ثم أسكره النصر فساءت سيرته وقبل رشوة الفرس وأعد لاستبعاد اليونان . فحاكمته مدينته وقضت عليه بالموت . فاستجار بمعبد أثينا وحصر فيه حتى أشرف على الموت جوعاً . ثم استخرج من المعبد مخافة أن يكون موته مصدر سخط الآلهة ، فمات خارجه . ويقال إن أمه أعانت على حصره . وذلك سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

« أرستيديس » للأثينيين أن يستأثروا بالسيادة ، وأن يتركوا الريف ويقيموا فى المدينة . وأعلن إليهم أنهم واجدون فيها ما يحتاجون إليه من رزق ، لأن بعضهم سيشتغل بالحرب ، وبعضهم سيعنى بحراسة المدينة ، وبعضهم سيتولى تدبير الأمور العامة . وكذلك يقبضون على السيادة بيد من حديد . فسمعوا له ، وما كادوا يستأثرون بالسلطان حتى أخذت أثينا تقود حلفاءها قيادة ملؤها العنف ، إلا جُزُر : كيوس ، ولسبوس ، وساموس ، لأنها كانت تعتبر هذه الجزر الثلاث كأنها حامية لملكها . ولهذا تركت لها ما كان لها من نظام وما كان لحكوماتها على رعيتها من سلطة . وفى الوقت نفسه ضمنت المدينة للكثرة من الشعب رزقها ، كما كانت تقضى بذلك سياسة « أرستيديس » . فكانت المدينة تغذو أكثر من عشرين ألف رجل ، تُنفق عليهم مما يجبى لها على حلفائها من المعونة غير العادية ، ومن الحقوق المأخوذة على التجارة ومن الضرائب . فقد كان هناك ستة آلاف قاض ، وست عشرة مئة من الرماة ، واثنتا عشرة مئة من الفرسان . وكان مجلس الشورى يعدل خمسمائة عضو . وكان حرس دور الصناعة يعدلون هذا العدد . وكان حرس المدينة خمسين . وكان الذين يعملون فى مناصب الدولة يقربون من سبعمائة فى داخل البلاد ومثلهم فى خارجها .

فلما أخذت أثينا فى الحرب كان لها خمسمائة وألفا جندى من المشاة ذوى الأسلحة الثقيلة ، وعشرون سفينة لحماية الساحل ، وسفن أخرى لجباية الضرائب عليها ألفا رجل يختارون بالاقتراع . أضف إلى ذلك

أعضاء « البروتانيون »[1] واليتامى وحرس السجون . كان كل هؤلاء الناس يحصلون على أرزاقهم من دخل الحكومة .

الفصل الخامس والعشرون

عصر أفيالتيس وبيركليس

وسقوط الأريوس باجوس

كذلك ضمنت المدينة للشعب رزقه . وقد حفظ « الأريوس پاجوس » تدبير أمور الدولة سبعة عشر عاماً بعد انقضاء الحروب الميدية[2] . ولو أن سلطانه أخذ ينقص شيئاً فشيئاً ، ولكن « أفيالتيس » بن « سوفونيديس » ، الذى كان قد اشتهر بالعدل والحزم والبعد عن الفساد ، والذى كان يرأس الحزب الديموقراطى ، رأى ازدياد عدد الشعب وشدة قوته ، فهاجم شيوخ « الأريوس پاجوس » .

بدأ فتخلص من عدد كثير من أعضاء هذا المجلس بأن اتهمهم بسوء الإدارة ، ثم سلبه حين كان « كونون » أركوناً ، كل ما كان قد

(١) كان هؤلاء الأعضاء من أعضاء مجلس الشورى كما سترى ، ولكن أرسطاطاليس إنما ذكرهم بصفة خاصة لأن المدينة كانت تطعمهم أثناء قيامهم بالعمل .

(٢) أى بعد موقعة « سلامين » و « بلاتيا » . وكان القدماء يعتقدون أن هاتين الوقعتين كانتا آخر هذه الحروب ، وإن كانت الحرب قد استمرت بين الفرس واليونان إلى ما بعد منتصف القرن الخامس .

أضاف لنفسه من الاختصاصات الجديدة التى لم تكن له من قبل ، والتى كانت تمكنه من حماية النظام ، وقسمها بين مجلس الشورى وجماعة الشعب ومجالس القضاء . وقد أعانه على هذا « تيميستكليس » الذى كان أحد أعضاء «الأريوس پاجوس» . ولكنه كان يتخوف لأنه اتهم بالميل إلى الفرس.

لما عزم « تيميستكليس » على إسقاط هذا المجلس أقنع « أفيالتيس » بأن هذا المجلس يريد القبض عليه ، وأقنع المجلس نفسه بأنه سيدله على بعض أعضاء المدينة الذين يأتمرون بالنظام ويريدون تغييره . ثم قاد مندوبى هذا المجلس إلى حيث كان « أفيالتيس » ليدلهم على مكان الاجتماع ، وأخذ يتحدث إليهم محتداً . فلما رأى ذلك « أفيالتيس » ملكه الرعب ، فجلس على المائدة المقدسة وكل ثيابه « كيتون »[1] ساذج . ودهش الناس جميعاً لهذه الحادثة . ثم اجتمع « تيميستكليس » و « أفيالتيس » فاتهما مجلس « الأريوس پاجوس » أمام مجلس الشورى وأمام جماعة الشعب ، وما زالا به حتى سلباه ما كان بيده من سلطان .

---

(١) قميص كان يتخذه اليونان من الصوف أو الكتان ، وهو أساس لباسهم ، وهو ما يباشر أجسامهم من أجزاء اللباس . وكان من إحدى جهتيه مقفلا إلا منفذاً صغيراً تنفذ منه الذراع ، ومن الجهة الأخرى مفتوحاً قد خيط طرفاه من الأسفل وجمع من الأعلى على الكتف بواسطة الأزرار أو ما يشبهها . وكان « الكيتون » طويلا ضاق الذيل عند اليونيين عامة . وكذلك كان يتخذه النساء . أما « الدوريين » فكانوا يتخذون « الكيتون » قصيراً . وقد قلدهم الأثينيون فى ذلك منذ القرن الخامس . ومن « الكيتون » ، ما كان ذا أكمام ومنه ما كان بدونها . وقد افتن اليونانيون منذ القرن الخامس فى زخرفة الكيتون ، وتزيينه وتنويعه .

ثم استخفى بعد ذلك « أفيالتيس » بزمن قليل ، قتله « أرستيديكوس » التنجرى ، وكذلك سلب شيوخ « الأريوس پاجوس » حق حماية النظام .

الفصل السادس والعشرون

أفيالتيس و بيركليس

إضعاف الحزب المعتدل . تمكن « الزوجتاى » من الوصول إلى منصب

الأركون

(قضاة الديموس . الحقوق السياسية)

نتج من ذلك شيء من الضعف فى تنفيذ النظم ، مصدره تنافس المتسلطين على الشعب من الخطباء ، وقضت المصادفة ألا يكون للمعتدلين فى هذا الوقت رئيس حقاً . فقد كان « كيمون » بن « ملتياديس » شاباً ولم يشتغل بالسياسة إلا فى عصر متأخر . وأكثر من هذا أن الحرب كانت تحرم الشعب أنفع أبنائه . وإذ كان هؤلاء وحدهم هم الذين يشتركون فى الحرب حينئذ يوم تجيء نوبتهم بمقتضى الديوان ، وإذ لم يكن لـ « الاستراتيجوى » ، الذين يقودونهم علم بالحرب ولا مجد إلا ما ورثوا عن آبائهم ، فقد كانت كل غارة تكلف المدينة ألفين أو ثلاثة آلاف من أبنائها ، حتى ذهبت خلاصة المعتدلين من الحزب الديموقراطى والحزب الأرستوقراطى فى الحرب .

فأما فيما دون ذلك فمع أن النظام لم يمس بسوء من الجهة العملية ، فقد كان إجلال الناس له أقل مما كان عليه من قبل . لم يكن أحد قد تعرض لانتخاب الأركون ، ولكن لم تمض خمس سنين على موت « أفيالتيس » حتى تقرر أن « الزوجتاى » يمكن أن يرشحوا بالانتخاب من بينهم من يشتركون فى الاقتراع لمنصب الأركون . وأول من شغل منهم هذا المنصب « منيسيثيديس » . وإنما كان الأركون ينتخب قبل ذلك بين الذين يملكون خمسمائة مديمنوس أو بين الفرسان[1]. وكان « الزوجتاى » لا ينتخبون إلا لما دون ذلك من المناصب ، إلا إذا كان « الديموس » قد انتخبهم مرة مخالفاً للقانون .

مضت على ذلك أربع سنين وأعاد الأثينيون تعيين القضاة الثلاثين الذين كانوا يسمون قضاة « الديموس » حين كان « لوسيكراتس » أركوناً .

ثم لسنتين من هذا ، حين كان « أنتيدوتوس » أركوناً ، رأى الأثينيون أن عدد أعضاء المدينة يزداد فى كل يوم ، فأقروا ما عرضه « پيركليس » من ألاّ يستمتع بالحقوق السياسية إلا من ولد لأب وأم أثينيين .

---

(١) يظهر أن إباحة منصب « الأركون » للفرسان إنما كان فى عصر « كليستينيس » وإن لم يذكر ذلك أرسطاطاليس . فقد تقدم أن سولون حصر هذا المنصب فى الطبقة الأولى من الأغنياء ، وهم الذين كانوا يحصلون من أرضهم فى كل سنة على خمسمائة « مديمنوس » .

الفصل السابع والعشرون

بيركليس

حرب پيلوپونيسوس والسيادة البحرية

أجر القضاة

ثم تولى « پيركليس » رياسة الحزب الديموقراطى . وكان قد اشتهر ، لأنه اتهم وهو شاب « كيمون » بينما كان هذا يؤدى حسابه بعد أن خرج من منصب « الستراتيجوس » . فأصبح النظام فى عصره أقرب إلى الديموقراطية . فقد سلب شيوخ « الأريوس پاجوس » بعض ما كان قد بقى لهم من الحقوق ، وحول الأثينيين إلى السيادة البحرية ، فاشتدت جرأة الشعب وأضاف لنفسه معظم أعمال الحكومة شيئاً فشيئاً .

لثمان وأربعين سنة مضت من وقعة « سلامين » حين كان « پوثودوروس » أركوناً ، شبت حرب « پيلوپونيسوس » التى اضطر الشعب فى أثنائها إلى أن يظل فى المدينة ، وتعود ما كان يعطى له من الأجر فى كل غزوة . فقرر من غير تردد ولا تفكير أن يستأثر وحده بتدبير الأعمال .

وكان « پيركليس » أيضاً أول من أعطى للقضاة أجراً ، وتلك خصلة ديمقراطية اتخذها معارضة لكرم « كيمون » . فقد كان كيمون ذا ثروة

ضخمة تعدل ثروة الطغاة، فكان لا يكتفى بأن يقوم بما تكلفه الدولة على حسابه مع كرم وسخاء ، بل كان يغذو عدداً غير قليل من مواطنيه . فلم يكن على كل « لَكْيَادِىّ » إلا أن يذهب إلى داره فى كل يوم ليضمن رزقه . وأكثر من هذا أنه لم يتخذ سياجاً مّا حول ما كان يملك من أرض ، فكان لمن شاء أن يطأ هذه الأرض ويأخذ منها ما احتاج إليه من ثمرات . ولم تكن ثروة « پيركليس » من الضخامة بحيث تمكنه من أن يجارى غنيًّا كهذا الرجل، فتبع نصائح « دامونيديس » الأوىّ — وهو الذى ألهمه أكثر ما قام به من الإصلاح فيما يظهر ، وقضى عليه أخيراً بالأوستراكيسموس .

كان « دامونيديس » يقول إذا كان « پيركايس » ليس ذا ثروة ضخمة فمن حقه أن ينفق مال الشعب على الشعب . وكذلك أقر « پيركليس » أجر القضاة . وقد أنكروا عليه هذه القاعدة كأنها خطرة .

وفى الحق إن دهماء الناس وسفهاءهم كانوا فيما بعد أشد حرصاً على أن يتقدموا إلى الصندوق من أولى الرأى والاعتدال . ومن هنا جاء الفساد الذى كان « أنيتوس » أول قدوة فيه ، بعد أن كان « استراتيجوس لبيلوس » . فقد اتهم بأنه أضاع هذه المدينة فأفسد القضاة وحملهم على أن يبرئوه .

الفصل الثامن والعشرون

أثينا بعد بيركليس .

[انحطاط الديموقراطية الأثينية

ذكر رؤساء الأحزاب فى أثينا والحكم عليهم

ظل النظام السياسى صالحاً فى أثينا ما بقى « پيركليس » رئيساً للحزب الديموقراطى . فما هى إلا أن مات حتى اشتد الفساد . فقد اختار الشعب له رئيساً لأول مرة رجلا لم يكن موضع ثقة المعتدلين . وكانت العادة قد جرت أن يكون رؤساء الحزب الديموقراطى من المعتدلين ، فأول رئيس للشعب كان سولون ، ثم جاء بعده « بيزيستراتوس » . فلما سقط حكم الطغاة رأس الشعب « كليستينيس » من آل « الكميون » . ولم يضع الحزب الآخر بإزائه خصماً بعد أن سقط « إيزاجوراس » . ثم كانت رياسة الشعب لـ«كسانتيوس» ورياسة الأرستوقراطية لـ«ملتيادس» . ثم جاء بعدهما « تيميستكليس » للديموقراطية ، و « أرستيديس » للأرستوقراطية ، ثم « أفيالتيس » زعيم الشعب ، و « كيمون » زعيم الأغنياء . وخلفهما فى الحزب الديموقراطى «ملتياديس» ، وفى الحزب الأرستوقراطى « توكوتيدوس » حليف « كيمون » .

فلما مات « پيركليس » كانت رياسة الأرستوقراطية إلى « نكياس »

الذى مات فى صقلية ، ورياسة الديموقراطية إلى « كليون » بن « كليانيتوس » الذى يظهر حقًّا أنه أضاع الشعب بحدته . وهو أول من أخذ يصيح على المنبر ويهين خصومه ، ولم يحتفظ بوقار الخطباء كغيره ، بل أخذ يشمر « كيتونه » أثناء كلامه .

جاء بعدهما فى الحزب الأرستوقراطى « ثيرامينيس » بن « هاجنون » . وفى الحزب الديموقراطى « كليوفون » العواد . وهو أول من ضمن للشعب « الديوبوليا »[1] . وكان توزيع الفلسين على الشعب قد جرى عصراً ثم ألغاه « كليكراتيس » البيانى ، الذى وعد فى أول الأمر أن يزيد فيه فلساً . ثم قضى على « كليوفون » و « كاليكراتيس » بالموت . وذلك أن الشعب إذا وقع فى الخطأ أخذ بذلك الذين ساقوه إليه . ثم تتابع على رآسة الديموقراطية بعد « كليوفون » الديماجوجوى[2] ، الذين كانوا أشد الناس جرأة ، والذين كانوا لا يسعون إلا إلى كسب الجمهور ، من غير أن يفكروا إلا فى المنفعة الحاضرة .

وأرى أن أشد الرؤساء حزماً فى أثينا بعد القدماء إنما هم : نكياس ، وتوكوتيدوس ، وثيرامينيس . فأما « نكياس » و « توكوتيدوس » فيكاد يجمع الناس على أنهما لم يكونا رئيسين شريفين فحسب ، بل كانا حازمين مستمسكين بما ترك الأولون لهما من سنة ، وعلى أنهما قد استحقا ثناء المدينة .

---

(١) هى إعطاء كل عضو يحضر جلسة جماعة الشعب فلسين عن كل جلسة . وقد استعملنا لفظ « الفلس » لترجمة « الأوبولوس » وهو سدس الدرهم .

(٢) هم قواد الشعب الذين كانوا يضللونه بخطبهم البريئة من كل حزم وتفكير .

وأما « ثيرامينيس » فيختلف الناس فيه ، لأنه عاش فى عصور ملؤها الاضطراب . ومع ذلك فيظهر بعد الامتحان الدقيق أن « ثيرامينيس » لم يهدم كل النظم ، كما يصمه بذلك خصومه ظلماً ، بل أيدها كلها حين لم يكن يأتى ما يخالف القانون ، مظهراً بذلك أنه يستطيع ، كما يجب على كل وطنى مخلص ، أن يخدمها جميعاً . فإذا اقترفت مخالفة القانون فلم تكن تلقى منه الطاعة والرضا ، بل المعصية والعداء .

الفصل التاسع والعشرون

عصر الأربعمائة

سقوط الديموقراطية . جماعة السلامة العامة
الخمسة آلاف

احتفظ الأثينيون بالنظام الديموقراطى ما كانت الحرب سجالا ، فلما كان الفشل فى صقلية ، ورجحت كفة أهل سبارتا بمحالفتهم الملك الأعظم ، اضطر الأثينيون إلى هدم الديموقراطية وإقامة حكومة الأربعمائة. عرض ذلك « بوثودوروس » بن « أبيزولوس » وخطب الناس قبل صدور القرار « ميلودوس » . ولكن الذى حمل الشعب على تغيير النظام هو اعتقاده أن الملك الأعظم سينحاز إلى أثينا إن أقيمت فيها حكومة الأقلية ، وهذا هو قرار « بوثودوروس » :

« ينتخب الشعب عشرين مندوباً غير العشرة الذين هم الآن فى العمل . يختارهم بين أعضاء المدينة الذين تجاوزوا سن الأربعين ، ويأخذهم بأن يقسموا ليتفقنّ على السعى إلى سلامة المدينة ، وليكتبنّ النظام السياسى الذى يرونه أقوم وأدنى إلى المنفعة ، ولكل عضو من أعضاء المدينة أن يقدم اقتراحاته مكتوبة حتى يستطيع المندوبون أن يضعوا أصلح نظام ممكن » .

وأضاف كليتوفون وأقره الشعب أن سيكون الأمر كما عرض « پوثودوروس » . ولكن على المندوبين أن يبحثوا عما شرع « كليستينيس » لأجدادنا من القوانين ، حين وضع نظام الديموقراطية . وأن يدرسوها . حتى إذا تناقشوا فيما يضعون من نظام ألهمتهم هذه القوانين وأعانتهم أقرب على أن يقرروا ما هو خير فى كل شىء . وذلك لأنه كان يفكر أن نظام « كليستينيس » لم يكن ديموقراطياً خالصا ، وإنما كان أقرب إلى نظام « سولون » .

فقرر المندوبون أول الأمر أن على أعضاء « البروتانيون » أن يعرضوا كل اقتراح أريدت به سلامة الشعب ، وأن يأخذوا الرأى فيه ، ثم ألغوا كل اتهام بمخالفة القانون أو بالخيانة العظمى ، وكل دعوة أمام القضاة ، ليستطيع كل الأثينيين المخلصين أن يشتركوا فى المناقشة . فأى الناس قضى على خطيب بالغرامة أو دعاه أمام القضاة أو حمله على أن يمثُل بين أيديهم ، فهو متهم اتهاماً موجزاً ، فمقبوض عليه ، فمسوق إلى « الاستراتيجوس » الذى يدفعه إلى الأحد عشر ليقتلوه .

فلما اتخذوا كل هذه الأنواع من الحيطة أقروا ما يأتى من النظام :

حظروا أن ينفق شيء من دخل الدولة فى غير الحرب . وحظروا أن يتقاضى عمال الدولة أجراً على أعمالهم ما دامت الحرب ، إلا التسعة الذين يشغلون منصب « الأركون » وإلا الذين يتتابعون على رآسة « البروتانيون » . وهؤلاء يتقاضى كل واحد منهم ثلاثة فلوس عن كل يوم . فأما الحقوق السياسية فيستمتع بها أقدر الأثينيين على أن يخدم الدولة بشخصه أو بماله . ولا يجوز أن ينقص عددهم عن خمسة آلاف ما دامت الحرب على الأقل .

لهؤلاء الخمسة آلاف ، بين كثير من الحقوق ، أن يعقدوا المعاهدات مع من شاءوا . تنتخب كل قبيلة عشرة رجال قد جاوزوا الأربعين ليعدوا « ثبت » الخمسة آلاف ، بعد أن يقسموا اليمين على لحم ضحية كاملة .

الفصل المتم الثلاثين

الأربعمائة

المائة المندوبون . نظامهم . عمل مجلس الشورى

هذا ما أقره المندوبون . فلما أقره الشعب انتخب الخمسة آلاف من بينهم مائة مندوب ليضعوا نظاماً أساسيًّا . وهذا ما عرض هؤلاء المندوبون :

« يتألف مجلس الشورى من أعضاء فى المدينة قد تجاوزوا سن

الثلاثين ، وليس لهم أجر ما . ويكون من أعضائه « الاستراتيجوى » والتسعة الذين يشغلون منصب « الأركون » و « الهيرومنيمون »[1] و « التاكسياركوى »[2] و « الهيباركوى » و « الفولاركوى »[3] والقواد الموكلون بحفظ القلاع ، وحفاظ الخزانة المقدسة خزانة أثينا وغيرها من الآلهة . وعددهم عشرة ، و « الهللينوتامياى »[4] ، وحفظة خزائن الدولة ، وعددهم عشرون ، والعشرة المضحون ، و « الإبيميلتاى »[5] وعددهم عشرة .

---

(١) أكبر الكهنة ، كان يكلف العناية بمراقبة العبادة والعقائد .

(٢) رؤساء « التكسيس » وهى كتيبة من الجيش تمثل القبيلة . وكانت هذه الكتائب عشراً ، واحدة عن كل قبيلة .

(٣) هم رؤساء القبائل مرة ورؤساء كتائب الخيل مرة أخرى . وهذا المعنى الثانى هو المراد هنا . وكان هؤلاء « الفولاركوى » عشرة بعدد كتائب الخيل ، واحد عن كل قبيلة .

(٤) هم عشرة كانوا يقومون على ما يدفع حلفاء أثينا إليها من المال ، فيدفعون جزءاً من ستين منه إلى خزانة الإلهة أثينا ، وينفقون سائره على الأسطول . وفى منافع الحلفاء العامة وما يقام فى أثينا من العمارات أو الأعياد .

(٥) لا نعرف ماذا يريد أرسطاطاليس بهذه الكلمة ، فقد كانت تطلق على عمال كثيرين جدا فى المدينة ، منهم من يقوم بالأعمال المدنية كمراقبة التجارة والثغور ، وكمراقبة الملاعب الرياضية ، وكمراقبة جلب المياه إلى أثينا وتوزيعها فى أنحاء المدينة . ومنهم من كان يقوم بأعمال دينية كتدبير ما كانت تخصص أثينا من المال لمعبد « دلف » . ومنهم من كان يشرف على تربية الشباب وتعليمهم . وعلى الجملة فإن « الأبيميليتيس » وهو واحد « الأبيميليتاى » هو من كان يقوم بعمل يسميه اليونان « أبيميلايا » وقد فسره علماء النظام اليونانى بأنه عمل لا تتوقف عليه حياة النظام السياسى ، وإنما يعرض من حين إلى حين . وأرادوا بذلك أن يفرقوا بينها وبين ما كان يسميه اليونان « أركيه » من جهة . وهو العمل الذى كان يمنح صاحبه سلطاناً سياسا أو قضائيا ، كعمل الأركون أو =

كل هؤلاء العمال ينتخبون بين أعضاء يكونون قد عينهم الانتخاب للدرجة الأولى ، وهؤلاء ينتخبون بين أعضاء مجلس الشورى القائم بالعمل ، وهذا الانتخاب الأول يجب أن يعين عدداً من الأعضاء أكثر من عدد المناصب التى يراد شغلها .

فأما غيرهم من العمال فينتخبون بواسطة الاقتراع ، ويؤخذون من غير مجلس الشورى .

ولا يقبل فى جلسات مجلس الشورى من شغل بتدبير أموال الدولة من « الهللينوتامياى » .

وفى المستقبل ينقسم مجلس الشورى إلى أربع لجان تتألف من الأعضاء الذين بلغوا السن المذكورة آنفاً ، ويختار بالاقتراع من بينها اللجنة التى تقوم بالعمل . ولكن الأعضاء الآخرين يجب أن يوزعوا على هذه اللجان ويكلف المائة هذا التوزيع . يوزعون أعضاء المدينة وهم من بينهم على هذه اللجان ، مع ما يمكن من المساواة . وعليهم أيضاً أن يستشيروا الاقتراع فى النظام الذى تتتابع بمقتضاه هذه اللجان .

=« الاستراتيجوس » وبين ما كانوا يسمونه « أويريسيا » وهى الأعمال التى ليست بذات خطر ، والتى كان يقوم بها أرقاء الدولة فى أكثر الأحيان . على أن التفرقة بين « الأبيميليا » و « الأركيه » ليست صحيحة ولا واضحة ، فإن « الأبيميليا » كانت تخول أصحابها أنواعاً من السلطان فى كثير من الأحيان . فليس من شك فى أن المشرفين على التجارة أو مراقبة الثغور أو تعليم الشباب كانوا يملكون من السلطان ما يعدل ما كانوا يؤخذون به من التبعة . وقد عدل الباحثون المحدثون عن محاولة تحديد عام لهذه الكلمة حتى تظهر الآثار التى تعين على فهمها ، وبقى نص أرسطاطاليس غامضاً فى هذا الموضع .

وعلى مجلس الشورى إبان السنة التى يقوم بالعمل فيها أن يتخذ فى كل شىء أصلح ما يمكنه من القرارات . وعليه خاصة أن يعنى بأن يبقى دخل الدولة سالماً لا ينفق منه شىء إلا فيما تقضى به الضرورة . فإذا احتاجت لجنة من اللجان إلى أن تستشير عدداً كثيراً من الناس ، فلكل عضو منها أن يدعو عضواً آخر ، على ألا يكون هذا العضو الآخر أقل منه سناً . يجتمع المجلس مرة فى كل خمسة أيام إلا أن تدعو الحاجة إلى أن يجتمع أكثر من ذلك . ينتخب المجلس بواسطة الاقتراع التسعة الذين يشغلون مناصب « الأركون » . وينتخب من بين أعضائه بواسطة الاقتراع خمسة يوكلون بإعلان نتيجة التصويت الذى يجرى بواسطة رفع اليد . وينتخب بواسطة الاقتراع كل يوم بين هؤلاء الخمسة عضواً يوكل بأخذ الأصوات فيما يعرض من المسائل . ويستشير هؤلاء الخمسة الاقتراع أيضاً فى النظام الذى يجب أن يتبعه من أراد أن يوجه إلى المجلس شيئاً . وهذا برنامج العمل :

« ينظر المجلس قبل كل شىء فى المسائل الدينية ، ثم فيما يأتى به الرسل ، ثم يستقبل السفراء ثم ينظر فى غير ذلك من المسائل .

فأما الأعمال الحربية فـ « الاستراتيجوى » وحدهم أن يكتبوها فى برنامج الجلسة كلما دعت إلى ذلك الحاجة ، دون أن يضطروا إلى استشارة الاقتراع . وكل عضو لم يحضر إلى قصر المجلس يوم الجلسة فعليه أن يدفع درهماً عن كل يوم تخلف فيه ، إلا أن يكون المجلس قد أذن له بالغيبة » .

الفصل الحادى والثلاثون

الأربعمائة

نظام مؤقت

هذا هو النظام الذى وضعه المائة للمستقبل وإليك النظام الذى كان يجب أن ينفذ حالا :

« يتألف مجلس الشورى من أربعمائة عضو حسبما قرر آباؤنا من القواعد . تنتخب كل قبيلة أربعين عضواً بعد أن يختارهم مرة أولى من لا تنقص سنهم عن ثلاثين سنة من أعضاء القبيلة .

وهؤلاء الأربعمائة ينتخبون من يجب أن يشغلوا مناصب الدولة ، ويضعون صورة اليمين التى يقسمها هؤلاء العمال ، يعنون بحماية القوانين وبأداء الحساب ، ويقضون فى كل شىء بما يرونه نافعاً . فأما فيما يتعلق بالقوانين السياسية فعلى هؤلاء الأربعمائة أن ينفذوا ما سيقرر منها دون أن يكون لهم تغييرها أو شرع غيرها . ولهذه المرة ينتخب « الاستراتيجوى » بين الخمسة آلاف جميعاً . ولكن بعد أن ينتخب المجلس وبعد أن يستعرض الجيش ، فهو الذى ينتخب « الاستراتيجوى » العشرة والكاتب الذى يعينهم . وهؤلاء العشرة المنتخبون تكون لهم حقوقهم كاملة إبان السنة الحاضرة ، ولهم أن يشتركوا فى مناقشات مجلس الشورى إذا رأوا ذلك

لازماً . وبهذه الطريقة نفسها يكون انتخاب «الهيباركوى» و « الفولاركوى» العشرة . أما فى المستقبل فيحفظ انتخاب هؤلاء الضباط لمجلس الشورى كما تقرر ذلك آنفاً .

وليس لأحد أن يشغل منصباً ما أكثر من مرة ، سواء فى ذلك من هم قائمون بالأعمال الآن ، ومن لم يقوموا بها ، بعد إلا عضوية مجلس الشورى ، وإلا منصب « الاستراتيجوس » .

فإذا عنى المائه بتقسيم الأربعمائة فعليهم أن يلاحظوا فى هذا التقسيم أن يكون كل عضو إلى جانب زملائة » .

الفصل الثانى والثلاثون

الأربعمائة

حكومة الأربعمائة . المفاوضة مع سبارتا

هذا هو النظام الذى كتبه المائة المندوبون عن الخمسة آلاف . أقره الشعب برآسة « أرستوماكوس » وانحل مجلس الشورى القديم الذى انتخب عن سنة « كالياس » قبل أن يتم عمله فى اليوم الرابع عشر من شهر « تارجيليون » . وفى اليوم الثانى والعشرين من هذا الشهر أخذ المجلس الجديد فى عمله . وكان بمقتضى النظام القديم لا ينبغى أن يأخذ فيه قبل اليوم الرابع عشر من شهر « سكيروفوريون » .

وكذلك تقرر نظام الأقلية حين كان « كالياس » أركوناً لمائة سنة مضت على طرد الطغاة ، وبتأثير « أنتيفون » و « ثيرامينيس » وكانا رجلين شريفي المولد قد اشتهرا بالذكاء والتفوق .

فلما تقرر هذا النظام لم ينتخب الخمسة آلاف إلا صورة . والواقع أن الأربعمائة أقاموا فى قصر مجلس الشورى ومعهم العشرة الذين يشغلون منصب « الاستراتيجوس » وأخذوا يحكمون المدينة بما كان فى أيديهم من سلطان مطلق . فأرسلوا السفراء إلى « سبارتا » يعرضون إنهاء الحرب ، وأن يحتفظ كلا الطرفين بما فى يده . ولكن « سبارتا » أبت أن تسمع لهم قبل أن ينزل الأثينيون عن سيادة البحر ، فانقطعت المفاوضة .

الفصل الثالث والثلاثون

العصر التاسع . إعادة الديموقراطية . إسقاط حكومة الأقلية الديموقراطية المعتدلة . الخمسة آلاف

بقيت حكومة الأربعمائة ما يقرب من أربعة أشهر ، وفى أثنائها شغل « منيسيلوكوس » أحد أعضاء مجلس الشورى منصب « الأركون » شهرين . من سنة « تيوپومبوس » . وشغله هذا عشرة أشهر . ولكن بعد أن انهزم الأثينيون فى موقعة « أرتريا » البحرية ، وبعد أن ثارت جزيرة « أوبايا » كلها إلا « أوريوس » ، ألم الأثينيون لهذا أشد مما ألموا لما سبقه ،

لأنهم كانوا يجلبون أرزاقهم من « أوبايا » لا من « أتيكا » ، بعد هذا كله أسقط الأثينيون الأربعمائة وجعلوا السلطان إلى الخمسة آلاف . وكان هؤلاء الخمسة آلاف هم الذين يستطيعون أن يشتروا أسلحتهم . وفى الوقت نفسه قرروا إلغاء الأجر الذى كان يتقاضاه عمال الحكومة جميعاً .

وكان أشد الناس عملا فى هذا « أرستوكراتس » و « ثيرامينيس » اللذان كانا غير راضيين عن أعمال الأربعمائة ، فإن هؤلاء كانوا لا يصدرون فى كل شىء إلا عن سلطانهم الخاص ، دون أن يستشيروا الخمسة آلاف فى شىء ما . خليق بالمدح نظام أثينا فى عصر الخمسة آلاف ، فقد كانت فى حرب وكانت الحقوق السياسية مقصورة على القادرين أن يشتروا أسلحتهم .

الفصل الرابع والثلاثون

العصر العاشر . عصر الطغاة الثلاثين والعشرة
عود إلى عبث الخطباء . الأحزاب فى أثينا . الثلاثون

لم يلبث الشعب أن سلب الخمسة آلاف ما كان فى يدهم من السلطان . وذلك أن الشعب قد خدعه مشيروه فقضى بتصويت واحد على القواد العشرة الذين انتصروا فى معركة « أرجينوس »[1] لست سنين

---

(١) جزر ثلاث صغار فى بحر « إيجيا » انتصر فيها الأسطول الأتينى على أسطول =

مضت على حكومة الأربعمائة حين كان « كالياس » الإنجيلى أركوناً ، وقد كان من بين هؤلاء القواد من لم يشترك فى الموقعة ، وكان منه من نجا على بقايا سفن الأعداء . فلما أرادت سبارتا بعد هذه الهزيمة أن تخلى « ديسيليا »[١] وعرضت الصلح ، على أن يحتفظ كل فريق بما فى يده ، حرص بعض أعضاء المدينة حرصاً شديداً على عقد هذا الصلح . ولكن الكثرة المطلقة لم ترد أن تسمع لشىء . تركت هذه الكثرة نفسها عرضة لخداع « كليوفون » الذى كان المؤثر الحقيقى فى رفض الصلح . ظهر فى جماعة الشعب سكران مدرعاً وأعلن أنه لن يقبل الصلح أو تترك سبارتا كل ما فى يدها من المدن . أساء الشعب فلم يعرف أن يستفيد من هذه الفرصة ، على أنه لم يلبث أن أدرك خطأه .

فلما كانت السنة التالية حين كان « الكسياس » أركوناً انهزم الأتينيون هزيمة منكرة فى « إيجوس پوتاموس »[٢] وأصبح « لوساندروس » بعد هذه الهزيمة سيد أتينا ، فأقر فيها حكومة الثلاثين بهذه الطريقة .

= سبارتا سنة ست وأربعمائة . وأهمل القواد انتشال الغرقى والقيام بالواجبات الدينية لمن مات . فقضى عليهم الشعب بالموت وفقدت أتينا بذلك أحسن قوادها . وكان هذا الحكم الأحمق من أهم الأسباب التى أسقطت أتينا بعد ذلك بقليل .

(١) حى من أحياء أتيكا فى الشمال الغربى من أتينا احتله جيش سبارتا فى حرب بيلوبونيسوس زمناً طويلا فأجهد الأتينيين أشد الإجهاد .

(٢) نهير فى تراقيا كانت عند مصبه الموقعة البحرية المعروفة بهذا الاسم . انتصر فيها لوساندروس قائد أسطول سبارتا على الأتينيين انتصاراً أنهى حرب بيلوبونيسوس . وقضى بنزول أتينا على حكم خصومها سنة خمس وأربعمائة .

كان الصلح قد انعقد على أن يحتفظ الأثينيون بما ترك آباؤهم من النظم السياسية .

وكان أنصار الديموقراطية يحاولون أن ينجوا حكومة الشعب . وكان الذين ألفوا جماعة من الأرستوقراطية قد اتفقوا مع المنفيين الذين ردهم الصلح إلى وطنهم ، على أن يعيدوا حكم الأقلية . وكان الآخرون الذين لم ينتظموا فى أحد الحزبين ، والذين كانوا يعتقدون أنهم ليسوا أقل كفاية من غيرهم ، يحرصون الحرص كله على نظام آبائهم السياسى . وكان من بين هؤلاء : أركيتوس ، وأنيتوس ، وكليستوفون ، وفورميسوس ، وآخرون كثيرون . وكان زعيمهم « ثيرامينيس » . ولكن « لوساندروس » أعان أنصار الأقلية وأكره الشعب على أن يقر هذا النظام ، وكان واضع القرار « دراكوتيبيديس » الأفيدنى .

الفصل الخامس والثلاثون

الثلاثون

اعتدالهم فى أول الأمر ثم قسوتهم

إليك كيف أقيمت حكومة الثلاثين حين كان « پوثودوروس » أركوناً . لم يكادوا يستأثرون بالسلطان فى المدينة حتى أعرضوا عما قرر الشعب بشأن النظام السياسى ، وألفوا مجلس الشورى من خمسمائة عضو ،

وانتخبوا غيرهم من عمال الحكومة . ولم يكن أهلا للانتخاب إلا الخمسة آلاف الذين عينوا من قبل . ثم انتخبوا عشرة يشغلون منصب الأركون فى « پيرا » . وأحد عشر سجاناً وثلاثمائة من الحرس الذين اتخذوا السياط . وبهذه القوة استطاعوا أن يخضعوا المدينة .

ومع ذلك فقد أظهروا فى أول الأمر ميلا إلى العدل بين أعضاء المدينة . وليظهروا أنهم إنما يحتفظون بسنة آبائهم فى السياسة خلصوا « الأريوس پاجوس » من قوانين « أفيالتيس » و « أركستراتوس » . وألغوا من قوانين «سولون» ما لم يكن يتفق الناس على تفسيره ، وسلبوا القضاة حق القضاء الذى ليس له مرد . وعلى الجملة كان يخيل أنهم إنما كانوا يريدون تقويم النظام وتبرئته من كل ظلمة وغموض .

وكذلك نفذ القانون الذى كان يبيح لكل أثينى أن يوصى بماله لمن يشاء من غير تقييد ، وألغيت كل القيود التى كانت مصدر كثير من المصاعب ، وهى حظر هذا الإيصاء على من لم يملك عقله ، أو من أضعفته الشيخوخة ، أو من تصرف خاضعاً لتأثير السم أو المرض ، أو من أثرت فى تصرفه المرأة . ألغيت هذه القيود حتى لا يكون هناك سبيل إلى مساعى « السوكوفانتس »[1] واتخذوا هذه السنة نفسها فى إصلاح القوانين الأخرى .

---

(١) كانت هذه الكلمة تطلق على الذين يبلغون الحكومة أن بعض الناس قد أصدر التين إلى الخارج . وكان إصدار التين محظوراً . ثم أصبحت تطلق بشىء من المجاز على كل واش يتهم غيره سرا أمام القضاة .

هذه سيرتهم أول الأمر . وقد قضوا على « السوكوفانتس » وعلى أولئك الخطباء المفسدين الدساسين الذين كانوا يتملقون الشعب فيجورون به عن قصد السبيل . وكانت المدينة تستبشر بهذا كله ، وكان الناس يعتقدون أن الثلاثين لم يكونوا يسيرون هذه السيرة إلا رغبة فى الخير وحسن التدبير . ولكنهم لم يكادوا يشعرون بأن سلطانهم قد أصبح ثابتاً مؤيداً فى المدينة حتى أظهروا سوء نيتهم فلم يراعوا لمواطن حرمة . وقتلوا من أعضاء المدينة كل من كانت تظهره ثروة أو مولد أو شهرة ، ليتقوا شرهم من جهة ، وليستأثروا بثروتهم من جهة أخرى ، وقد أحصى من قتلوا فى آن قصير فكانوا لا يقلون عن خمسمائة وألف .

الفصل السادس والثلاثون

الثلاثون

فشل ثيرامينيس فيما حاول بإزاء الثلاثين

أخذت المدينة تضعف شيئاً فشيئاً فحاول « ثيرامينيس » ، وكان شديد السخط على سوء فعل الثلاثين ، أن يحمل هؤلاء الناس على أن يدعوا ما كانوا فيه من قسوة وعنف ، وأن يمكنوا أخيار المدينة من العمل فى مناصبها . فرفض الثلاثون أولا . ولكنهم رأوا أن نصيحة « ثيرامينيس » قد انتشرت بين الناس ، وأن الشعب حسن الظن به ، فأشفقوا أن يصبح

« ثيرامينيس » زعيماً للديموقراطيين ، وأن يلغى سلطانهم المطلق . فأخذوا يكتبون « ثبتاً » بأسماء ثلاثة آلاف من أعضاء المدينة ليمنحوهم الحقوق السياسية .

فلم يرض « ثيرامينيس » عن هذا العمل بل ذمه وعابه ، وذلك أن الثلاثين ، إذا كانوا يريدون أن يعطوا المعتدلين شيئاً من السلطان ، فما بالهم لا يدعون إليه إلا ثلاثة آلاف ، كأن أهل الخير فى المدينة لا يتجاوزون هذا العدد . ثم هم يتخذون شيئين متناقضين تناقضاً تاما : يقيمون حكومة ملاكها العنف والشدة ، ويعرضون هذه الحكومة للخطر ، لأنها أضعف من أن تتقى شر الخاضعين لها . لم يحفل الثلاثون بهذا الرأى . ولكنهم ماطلوا فى إقامة « الثبت » الذى كانوا قد بدءوا فيه ، واحتفظوا بأسماء الذين كانوا يريدون أن يمنحوهم الحقوق السياسية . وأخذوا كلما عزموا على إعلان هذا « الثبت » محوا ما كان فيه من الأسماء وأثبتوا مكانها أسماء جديدة .

وأرسلوا السفراء إلى « سبارتا » يتهمون « ثيرامينيس » ويطلبون المعونة . سمع أهل «سبارتا» لهم وأرسلوا « الأرموستيس »[1] على رأس سبعمائة من الجند ، فما كادوا يصلون حتى احتلوا « الأكربوليس » .

---

(١) لفظ سبارتى كان يطلق على قائد الجنود السبارتية المحتلة لمدينة من المدن الخاضعة لسبارتا .

الفصل السابع والثلاثون

الثلاثون

أخذ ترازيبيلوس لفولا . موت ثيرامينيس

كان الشتاء قد بدأ حين احتل «ترازبيلوس» «فولا »[١] بعينه المهاجرون. وقد فشل الثلاثون حين أرادوا قهرهم ، فأزمعوا تجريد المدينة من السلاح وإهلاك « ثيرامينيس » .

وإليك كيف دبروا ذلك : عرضوا على مجلس الشورى قانونين أرادوه على إقرارهما . الأول يمكن الثلاثين من قتل من شاءوا بين الذين لم تكتب أسماؤهم فى « ثبت » الثلاثة آلاف . والثانى يحرم الحقوق السياسية فى النظام الجديد كل من قد اشترك فى تدمير أسوار « أتيونيا »[٢] أو قام بمعارضة ما للأربعمائة الذين هم أول من أسس حكومة الأقلية . وكان « ثيرامينيس » قد اقترف الإثمين جميعاً ، فلما أقر القانون أصبح وليس له فى المدينة حق ، وأصبح معرضاً لسخط الثلاثين الذين كانوا قادرين على قتله متى شاءوا .

فلما قتل « ثيرامينيس » نزعوا أسلحة الأتينيين حاشا الثلاثة آلاف ، واستسلموا إلى القسوة بعد ذلك فى جميع ما دبروا .

---

(١) حى من أحياء أتيكا يسمى اليوم : بيجلا كاسترو .

(٢) طرف بيرا الشمالى . كانت حكومة الأربعمائة قد أقامت فيه قلعة ، وكانت تريد أن تنزل فيها طائفة من جيش سبارتا ، فهدمها الديموقراطيون .

الفصل الثامن والثلاثون

إسقاط حكومة الثلاثين . العشرة . المفاوضة مع سبارتا

وفى أثناء ذلك استولى الأتينيون الذين كانوا قد احتلوا « فولا » على « مونيكيا » وهزموا جيش النجدة الذى كان قد استعان به الثلاثون . فلما نجا أتينيو المدينة من الخطر وعادوا إلى مدينتهم أصبحوا فاجتمعوا فى « الآجورا »[١] وأسقطوا حكومة الثلاثين وانتخبوا جماعة تتألف من عشرة من أعضاء المدينة لهم السلطان المطلق لإنهاء الحرب . ولكن العشرة لم يكادوا ينتخبون حتى أعرضوا عما كانوا قد انتخبوا له . بل أرسلوا السفراء إلى سبارتا يطلبون النجدة ويقترضون المال . وإذ كانت سيرتهم قد أسخطت من يقومون على تدبير الأمور العامة من أعضاء المدينة ، فقد أشفق العشرة أن يسقطوا . ولأجل أن يملئوا المدينة رعباً — وذلك شىء قد كان — قبضوا على « ديمارتيوس » وكان من أعلام المدينة فقتلوه . واستقر أمرهم حينئذ ثابتاً يعينهم « كاليبيوس » ومن كان معهم من جيش سبارتا وبعض طبقة الفرسان . وكان أعضاء هذه الطبقة أشد الناس معارضة فى عودة أهل « فولا » .

ولكن هؤلاء ملكوا « پيرا » و « مونيكيا » ورأوا عامة الحزب

---

(١) هى السوق ، كانت تجتمع فيها جماعة الشعب .

الديموقراطى قد انضمت إليهم فانتصروا فى الحرب ، وإذاً أسقط العشرة الذين كانوا قد انتخبوا ، وانتخب عشرة آخرون ممن كان يظن فيهم أنهم أصلح الناس . وفى أثناء حكم هؤلاء العشرة ، وبفضل ما بذلوا من عناية وجهد ، استطاعت الأحزاب أن تتفق وأعيد النظام الديموقراطى . وكان أشهر زعمائهم « رينون » البيانى ، و « فايلوس » الأركردونى ، وهما اللذان فاوضا أهل « پيرا » قبل وصول « پوسانياس » واتفقا معه بعد وصوله على تعجيل رجعة المهاجرين .

وقد أتم ملك سبارتا يعينه عشرة من المصلحين — أقبلوا من سبارتا لأنه دعاهم — ما كان قد بدئ من المفاوضة فى سبيل الصلح واجتماع الكلمة . وقد نال « رينون » وأصحابه الثناء العام فيما بعد ، مكافأة على ما أدوا للدولة من خدمة ، وذلك أنهم بدأوا عملهم تحت سلطان الأرستوقراطية ، وأدوا حسابهم تحت سلطان الديموقراطية ، دون أن يستطيع أحد أن يأخذهم بشىء ، سواء فى ذلك من كان قد أقام فى أتينا ومن كان قد عاد إليها من المهاجرين . ولهذا أسرع أهل أتينا إلى انتخاب « رينون » لمنصب « الاستراتيجوس » .

الفصل التاسع والثلاثون

العصر الحادى عشر . إعادة النظام الديموقراطى

الوفاق بين أنصار الثلاثين وبين الديمقراطيين

تم الوفاق حين كان « أكليديس » أركوناً ، وإليك شروطه :

من كان من أعضاء المدينة قد أقام فى أتينا، فله إن أراد أن يتركها، أن يسكن « إليزيس »[1] . محتفظين بكل حقوقهم السياسية مالكين ملكاً تاما لكل ما كان لهم ، قادرين على أن يستثمروا ثروتهم . .

يبقى معبد إليزيس حظا مشتركاً لأعضاء المدينة جميعاً ، واحتفاظاً بالسنة الموروثة يقوم « الكريكيون » و « الإيمولبيون »[2] على إدارته .

وليس لأهل « إليزيس » أن يأتوا أتينا ، ولا لأهل أتينا أن يأتوا « إليزيس » إلا فى عصر الاحتفال بالأسرار .

يدفع أهل «إليزيس» كأهل أتينا ضريبة عن ثروتهم إلى خزانة الحلفاء.

من ترك المدينة ليسكن « إليزيس » فله أن يشترى فيها داراً يتفق على ثمنها مع المالك . فإن لم يستطيعا أن يتفقا حكما فى ذلك ثلاثة من أهل الخبرة . وليس للمالك أن يطلب أكثر مما يعينه هؤلاء .

---

(١) مدينة صغيرة فى أتيكا تسمى اليوم : لفسينا . كانت تقام فيها أعياد « ديميتير » إلهة الخصب . وكانت مستقر الأرستوقراطية .

(٢) أسرتان أرستوقراطيتان توارثتا القيام على معبد « ديميتير » .

ليس لأحد من أهل « إليزيس » أن يستأجر بيتاً من مالكه الجديد إلا إذا قبله الخبراء .

يجب على من يريد أن يترك المدينة أن يقيد اسمه فى أثناء عشرة أيام منذ اليوم الذى أقسم فيه اليمين ، وأن يسافر فى أثناء عشرين يوماً منذ هذه اليمين إن كان من الذين أقاموا فى المدينة ، فإن كان من الذين عادوا إلى المدينة فله نفس الأجل منذ اليوم الذى عاد فيه .

ليس للأثينى الذى يقيم فى « إليزيس » أن يشغل منصباً فى المدينة ، إلا إذا قيد نفسه من جديد مثبتاً أنه من سكان المدينة .

تقام دعوى القتل ، كما كانت فى قوانين آبائنا ، على من قتل أو جرح بيده .

فأما بالقياس إلى الماضى فيجب أن ينسى جميع ما كان بين الأثينيين من العداء ، إلا بالقياس إلى الثلاثين [١] والعشرة [٢] والأحد عشر [٣] . وعمال « پيرا » على أن هؤلاء الناس لن يكونوا موضعاً لهذا الاستثناء إذا أدوا حسابهم .

يؤدى عمال « پيرا » حسابهم أمام أهل « پيرا » ويؤدى عمال أثينا حسابهم أمام أهل أثينا . ويعين القضاة مقدار ما يؤخذون به من غرامة . فإذا أصلحوا أمرهم على هذه الصورة فلهم إن شاءوا أن يقيموا فى « إليزيس » .

فأما المال الذى اقترضه كلا الحزبين فى سبيل الحرب فعلى كل حزب أن يؤدى ما اقترض .

---

(١) هم الطغاة الذين سبق ذكرهم .

(٢) هم الذين سبق أنهم انتخبوا لاصطلاح الأمر فأفسدوه واستعانوا بسبارتا .

(٣) هم حفظة السجون الذين أعانوا الطغاة على ما اقترفوا من إثم .

الفصل المتم الأربعين

إعادة الديموقراطية . أتينا بعد التأمين . أركينوس
حكمة الأتينيين

لم يكد يتم هذا الاتفاق حتى استأثر الخوف بمن قاتل إلى جانب الثلاثين . وأخذ يعزم كثير منهم على أن يترك المدينة ، ولكنهم أخذوا يؤجلون هجرتهم كما يقع ذلك دائماً . فلما رأى « أركينوس » كثرة عددهم ، وكان يريد أن يحول بينهم وبين الهجرة ، ألغى آخر أيام الأجل الذى كان قد ضرب لتقييد الأسماء . فاضطر كثير منهم إلى أن يبقوا كارهين ، حتى جاء اليوم الذى استطاعوا فيه أن يستردوا الأمن والشجاعة .

سار « أركينوس » فى ذلك اليوم سيرة رجل قادر على تدبير الأعمال العامة ، ماهر فى ذلك ، كما سار هذه السيرة أيضاً حين طعن بمخالفة القانون فى القرار الذى كان « ترازيبيلوس » يريد أن يحمل الشعب على إصداره ، والذى كان يمنح الحقوق السياسية جميع من أقبل معه من « پيرا » مع أن كثيراً من هؤلاء الناس كانوا أرقاء من غير شك . وكما سار هذه السيرة مرة أخرى حين أخذ بعض أعضاء المدينة الذين عادوا إليها يظهر بغضه وعداءه لمن أقام فيها ، فقبض عليه وقاده أمام

مجلس الشورى حيث طلب « أركينوس » أن يقتل من غير مقاضاة . يريد بذلك أن يظهر وجوب تخليص الديموقراطية والاحتفاظ باليمين . فإن تبرئة هذا الرجل تشجيع للآخرين ، وقتله إرهاب لهم بإعطاء المثل . وكذلك كان الأمر ، فإن موت هذا الرجل حال بين غيره من الناس وبين إيقاظ الفتنة . وأكثر من هذا أن الأتينيين بعد أن خرجوا من هذه المصائب لم يضيعوا ما ألقت عليهم من موعظة بل أحسنوا الاستفادة منها ، سواء فى ذلك الأشخاص والدولة . فلم يكتفوا بإلغاء كل اتهام يتعلق بالماضى ، بل اشتركوا وتعاونوا على أن يردوا إلى «سبارتا» ما كان قد اقترض الثلاثون من المال لينفقوه على الحرب . وإن كان الاتفاق قضى بأن يؤدى كلا الفريقين ، فريق «أتينا» وفريق « بيرا » ما اقترض . وإنما فعلوا ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه هى أوضح طريق إلى تحقيق الوفاق . وقد رأينا فى غير أتينا من المدن ، التى انتصر فيها الحزب الديموقراطى ، أن هذا الحزب لم يعن خصومه بما له بل قسم بين أعضائه أرض الأرستوقراطية .

ثم صالح الأتينيون أهل « إليزيس » لسنتين مضتا من خروج هؤلاء من المدينة ، وتم هذا الصلح حين كان « أكسينانيتيوس » أركوناً .

الفصل الحادى والأربعون

ملخص

تعديد ما كان من تغيير للنظام السياسى

الديموقراطية الحالية

كان السلطان بيد الحزب الديموقراطى حين وقعت هذه الحوادث ، وذلك أنه إنما أقر هذا النظام الحاضر حين كان « بوثودوروس » أركوناً ، وإذ كان غير مدين بعودته إلا لنفسه ، فقد ظهر من العدل أن يستأثر بالسلطة .

وكان هذا التغيير الحادى عشر من التغييرات التى نالت نظام أتينا إذا أحصيناها جميعاً .

وأول هذا التغييرات ما كان من استقرار « إيون » وأصحابه فى « أتيكا » . ومن هذا العصر انقسم السكان إلى أربع قبائل وعين لكل قبيلة ملك .

ثم كانت حكومة « تيزيوس » وهى تخالف بعض الشىء نظام الملكية ، وكانت أول حكومة أحدثت فى النظام الأتينى تغييراً حقيقياً لأنها أوجدت حكماً منظماً .

ثم كان نظام « دراكون » وهو أول نظام شرعت فيه القوانين .

ثم جاء النظام الثالث بعد خلاف طويل وهو نظام «سولون» الذى حياة الديموقراطية .

ثم كان طغيان « پيزيستراثوس » وهو الطور الرابع .

وكان الطور الخامس نظام « كليستينيس » » الذى أحدث بعد طرد الطغاة ، وهو أقرب من نظام « سولون » إلى الديموقراطية .

الطور السادس نظام أتينا بعد الحرب الميدية ، وهو يتميز بظهور أمر مجلس « الأريوس پاجوس » .

والطور السابع ما أحدث « أرستيديس » وأقر « إفيالتوس » من نظام يتميز بهدم سلطان « الأريوس پاجوس » . وفى هذا العصر اقترفت الدولة أكبر أغلاطها ، يدفعها على ذلك « الديماجوجوى » ، وحرصها على سيادة البحر .

ثم يأتى الطور الثامن وهو حكومة الأربعمائة ، ويليه الطور التاسع وهو إعادة الديموقراطية .

والطور العاشر طغيان الثلاثين والعشرة .

ثم يأتى الطور الحادى عشر بعد عودة أهل « فولا » و « پيرا » وهو النظام القائم الآن والذى لم ينقطع الشعب تحت تأثيره عن زيادة ماله من سلطان . فقد جعل الشعب نفسه صاحب الأمر فى كل شىء . يحكم فى كل شىء بقراراته ومجالسه القضائية التى له فيها السلطان المطلق . فإلى الشعب أضيفت الاختصاصات القضائية التى كانت فى أول الأمر لمجلس الشورى ، وذلك عدل . فإن من اليسير إفساد عدد محصور من الناس بالمال والرشوة ، وذلك شىء يتعذر اتخاذه بالقياس إلى شعب بأسره .

وكانوا قد عدلوا فى أول الأمر عن منح الناس أجراً على حضورهم

جماعة الشعب ، ولكن الشعب تخلف عن الجلسات وأصبح « البروتانوى » يصوتون وحدهم غالباً . فلأجل حمل الناس على الحضور وإعطاء قرارات المجلس قوة القانون اقترح « أجيريوس » أن يعطى لمن حضر فلس عن كل جلسة . ثم جعل « هيراكليديس » الكلازومينى ، الذى سمى الملك الأعظم ، هذا الأجر فلسين . فاستأنف « أجيريوس » النظر فى الأمر وجعل هذا الأجر ثلاثة فلوس .

الجزء الثانى

عرض ما كان فى أتينا من النظم

الفصل الثانى والأربعون

حق العضوية فى المدينة

أولا : تقييد الأسماء فى السجل المدنى . ثانياً : الإفيبيا

هذه حال الحكومة الحاضرة فى أتينا :

يؤلف أعضاء المدينة من ولد من أب وأم أتينيين .

فإذا بلغوا الثامنة عشرة قيدت أسماؤهم فى سجل « الديموس » وأصبحوا من أعضائه .

فإذا تقدموا لهذا وجب على أعضاء «الديموس» أن يعلنوا بواسطة التصويت وبعد حلف اليمين ، أولا : أنهم قد بلغوا السن القانونية . فإذا أعلنوا أنهم لم يبلغوها عاد هؤلاء الغلمان فمكثوا بين الأطفال . ثانياً : أنهم من طبقة الأحرار وأنهم أبناء زواج مشروع .

فمن قضى عليه أعضاء «الديموس» بأنه ليس من طبقة الأحرار فله أن يستأنف أمام المحكمة . وفى هذه الحال ينتخب أعضاء « الديموس » خمسة

من بينهم ليكونوا مدعين . فإذا أيدت المحكمة قضاء « الديموس » فللمدينة أن تبيع المستأنف ، وإلا فعلى « الديموس » أن يقبله بين أعضائه .

ثم يخضع المقيدون لامتحان مجلس الشورى ، فإذا قضى هذا المجلس أنهم لم يبلغوا الثامنة عشرة قضى على أعضاء « الديموس » الذين قبلوهم بالغرامة .

بعد أن يتم امتحان « الإفيبوى »[1] يجتمع آباؤهم قبائل وبعد أن يقسموا اليمين ينتخبون ثلاثة من بينهم قد تجاوزوا سن الأربعين ، وظهر أنهم أقدر الناس على حسن إدارة « الإفيبوى » .

ثم تنتخب جماعة الشعب بواسطة رفع اليد بين كل فريق من هؤلاء الثلاثة « السفرونيستيس »[2] لكل قبيلة . ثم تنتخب بين الأتينيين عامة « الكوسمتيس »[3] الذى يعنى بأمر « الإفيبوى » جميعاً . يستقبل هؤلاء الرؤساء جماعات « الإفيبوى » ويزورون معهم معابد المدينة ثم يذهبون إلى « بيرا » ثم يعسكر بعضهم فى « مونيكيا » وبعضهم فى « أكتا » . ينتخب الشعب اثنين لمنصب « البايدوتربيس »[4] وأساتذة يعلمونهم استعمال

---

(١) جمع : إفيبوس ، وهو الشاب الذى يبدأ خدمته العسكرية حين يبلغ الثامنة عشرة إلى أن يبلغ العشرين . وهذه الخدمة العسكرية هى « الإفيبيا ». والموضع الذى كان يجتمع فيه هؤلاء الشبان هو « الإفيبيون » .

(٢) هو ملاحظ الشبان أثناء خدمتهم العسكرية . كان يعنى بملاحظة أخلاقهم وسيرتهم .

(٣) الكوسمتيس : هو الملاحظ العام للشبان فى خدمتهم العسكرية .

(٤) معلم الألعاب الرياضية .

الأسلحة الثقيلة والقوس والسهم والرمى بالمنجنيق . ويتقاضى كل « سفرونيستيس » درهماً لغذائه فى كل يوم ، وكل « إفيبوس » أربعة فلوس . يتسلم « سفرونيستيس » كل قبيلة أجر تلاميذه ويعنى بطعامهم وموائدهم المشتركة — فإن « الإفيبوى» يجتمعون إلى الطعام قبيلة قبيلة — وعليه أيضاً أن يأخذ من جميع الأجر ما يحتاج إليه فى تدبير شئونهم .

هذه أعمال « الإفيبوى » فى السنة الأولى . أما فى السنة الثانية ، فبعد أن يستعرضوا ويقوموا بأعمال الحرب أمام الشعب المجتمع فى ملعب التمثيل ، يعطى لكل واحد منهم رمح ودرقة ، ثم يقومون بأعمال العسس وحراسة الحصون .

وفى أثناء هاتين السنتين يحيون حياة الجندلا يلبسون إلا « الكلاموس »[١] ولا يكلفون عملاً ما . ولأجل ألا يتغيبوا لسبب ما فليس من سبيل إلى أن يظهروا أمام القضاء ، لا مدعين ولا مدعى عليهم . إلا للاستيلاء على ميراث أو « أبيكلوروس » أو عمل دينى من أعمال الأسرة . فإذا انقضت هاتان السنتان فهم كغيرهم من أعضاء المدينة .

هذه خلاصة ما يتعلق بتقييد أسماء أعضاء المدينة وبـ « الإفيبيا » .

---

(١) معطف ليس بذى أكمام ، كان يجمع طرفاه على الصدر فيغطى الذراعين أو أعلى الكتف ويترك إحداهما عارية . وكان منه القصير الذى لا يتجاوز الركبة والطويل الذى يبلغ القدم . وكان اتخاذه شائعاً بين الفرسان والصيادين والشبان فى تمرينهم العسكرى .

الفصل الثالث والأربعون

المناصب

أولا : الأعمال التى تنال بالاقتراع أو بالانتخاب

ثانياً : مجلس الشورى والبروتانوى

ثالثاً : برنامج أعمال مجلس الشورى وجماعة الشعب

أولا : كل عمال الإدارة العادية يختارون بواسطة الاقتراع ، إلا حافظ خزانة الحرب ورؤساء « الثيوريكون »[١] ومن يكلف العناية بالينابيع العامة ، فإنهم ينتخبون بواسطة رفع اليد . ويبقون فى أعمالهم منذ عيد « الپاناتينايا »[٢] إلى العيد الذى يليه ، وكذلك ينتخب جميع

---

(١) هى أموال كانت تخصص لتمكين الفقراء من حضور ملاعب التمثيل والاشتراك فى الأعياد . أحدثها « بيركليس » فكان يعطى كل فقير فلسين لبشهد التمثيل فى عيد « ديونوزوس » ثم أصبحت عامة فى جميع الأعياد . وكانت هذه الأموال تؤخذ غالباً من ضرائب الحلفاء .

(٢) عيد كان يقيمه الأتينيون تكريماً للإلهة أثينا . وكانوا يقيمون عيدين : عيداً صغيراً فى كل سنة فى منتصف شهر يوليو ، وعيداً كبيراً يقام فى كل أربع سنين . وكان يتألف من تضحية ومسابقة شعرية وموسيقية وقصصية ومن مسابقة فى الألعاب الرياضية ومن طواف فى المدينة بنقاب الإلهة ، وسيأتى تفصيله . وليس فى نص أرسطاطاليس ما يعين أحد العيدين . وكذلك تعود أرسطاطاليس أن يستعمل اللفظ من غير تعيين ، ولكن العيد الكبير هو الذى أريد فى هذا الموضع ، فكان ينتخب هؤلاء الناس لأربع سنين .

الذين يشغلون مناصب الحرب .

ثانياً : يختار مجلس الشورى بواسطة الاقتراع ، وهو يتألف من خمسمائة عضو يمثل كل قبيلة خمسون . تتولى كل قبيلة « البروتانيا »[1] إذا جاءت نوبتها بمقتضى الاقتراع .

تقوم كل واحدة من الأربع الأولى بهذا العمل ستة وثلاثين يوماً ، وكل واحد من الستة الأخرى خمسة وثلاثين يوماً ، لأن سنة الأثينيين هى السنة القمرية . يتناول « البروتانوى » طعامهم على حساب الدولة فى « الثولوس »[2] وعليهم دعوة مجلس الشورى وجماعة الشعب إلى الاجتماع . يدعى مجلس الشورى فى كل يوم إلا أيام الأعياد ، وتدعى جماعة الشعب أربع مرات فى كل « بروتانيا » .

ثالثاً : وعليهم أن يعدوا برنامج الجلسة فى إعلان ينشرونه ويبينون فيه المسائل التى يجب درسها ، ويعدون أيضاً برنامج الجلسات لجماعة الشعب . وأول هذه الجلسات هى الجلسة النظامية ، فيها يقر العمال على أعمالهم ، إذا وافقت الجماعة على إدارتهم ، وفيها يعنى بتموين المدينة والدفاع عنها . لكل عضو من أعضاء المدينة أن يتهم فيها من شاء بالخيانة العظمى ، وفيها يقرأ « ثبت » الأموال التى صادرتها الدولة وعرائض الذين

(١) هى الإقامة فى « البروتانيون » الذى قدمنا وصفه للإشراف على الأعمال العامة . فقد كان مجلس الشورى بهذا الشكل منقسما إلى لجان عشر ، تقوم كل واحدة منها بالإشراف على المدينة ما يزيد عن شهر . وكانت هذه اللجنة تتناول غذاءها على مائدة مشتركة تنفق عليها الدولة .

(٢) بناء مستدير كان يجتمع فيه « البروتانوى » لتناول الطعام .

يطلبون الاستيلاء على الميراث أو على « الأپيكلوروس » ، حتى لا يجهل أحد ما يمكن أن يقع من انقراض الأسر. وفى هذه الجلسة من « الپروتانيا » السادسة يضيفون إلى كل هذه المسائل أخذ الأصوات فى إمكان تنفيذ « الأوستراكيسموس » . ويأخذون الأصوات فيما يقدم من طلب القضاء على « السوكوفانتس » من الأتينيين و « المتيكوى »[1] . ولكن لا يمكن أن يقضى على أكثر من ثلاثة بين أولئك وهؤلاء ، وعلى الذين لا يفون بما كانوا قد تعهدوا به أمام الشعب .

والجلسة الثانية مخصصة للمظالم ، يكفى أن يظهر كل إنسان أمام الشعب مظهر المستجير ليتحدث إليه عن كل ما يريد من الأعمال العامة أو الخاصة .

والجلستان الأخريان مخصصتان لما بقى من الأعمال . وتريد القوانين أن يبحث فى كل جلسة عن ثلاثة أعمال تمس الدين ، وثلاثة تمس الدولة ، وثلاثة تمس الرسل أو السفراء .

وربما بدأت الجماعة فى المناقشة دون أن يكون التصويت الذى يبيح الأخذ فيها .

وإنما يمثل الرسل والسفراء أمام « الپروتانوى » أولا ، وإليهم يسلمون ما يحملون من كتب .

---

(١) هم النزلاء . ومعنى الكلمة حرفياً : المساكنون .

الفصل الرابع والأربعون

مجلس الشورى

أولا : أبيستاتيس الپروتانوى

ثانياً : الپرويدروى وأبيستاتيس الپرويدروى

ثالثاً : انتخاب العمال الحربيين بواسطة جماعة الشعب

أولا : يعين الاقتراع واحد، يقوم بمنصب « الأبيستاتيس »[١] بين « الپروتانوى » يشغل منصبه يوماً وليلة ، دون أن يستطيع أن يمد هذا الأجل أو أن يشغل منصبه مرتين . يحتفظ بمفاتيح المعابد التى تحتوى على خزائن الدولة ومحفوظاتها كما يحتفظ بخاتم الدولة . وعليه أن يبقى فى « الثولوس » مع ثلث « الپروتانوى » الذين اختارهم خاضعين لرياسته .

ثانياً : كلما دعا « الپروتانوى » مجلس الشورى أو جماعة الشعب اختار « الأبيستاتيس » تسعة لمنصب « الپرويدروس »[٢] واحداً عن كل قبيلة ، إلا القبيلة التى تشغل « الپروتانيا » . ومن بين هؤلاء التسعة يختار رئيساً وإليهم يسلم برنامج الجلسة . فإذا تسلموا هذا البرنامج وجب عليهم

---

(١) الرئيس .

(٢) هو رئيس مجلس الشورى . والفرق بينه وبين « الأبيستاتيس » أن هذا يرأس إحدى اللجان العشر فحسب . أما « البرويدروس » فيرأس المجلس كله .

أن يعنوا بتنفيذ كل شىء حسب القانون ، وأن يعلموا المجلس بما كتب فى البرنامج ، وأن يظهروا نتيجة التصويت بواسطة رفع اليد . وعلى الجملة عليهم إدارة الجلسة ، ولهم رفعها ، وليس لأحد أن يكون « أبيستاتيس » إلا مرة فى السنة ، وله أن يكون « پرويدروس » مرة فى كل « پروتانيا » .

ثالثاً : ينتخب « الاستراتيجوى » و « الهيباركوى » وغيرهم من الذين يشغلون المناصب الحربية بواسطة جماعة الشعب ، حسب الصورة التى أقرها الشعب . وفى أول « پروتانيا » يظهر فيها عطف الآلهة بعد « البروتانيا » السادسة . ولهذا أيضاً يجب أن يصوت مجلس الشورى أولا .

الفصل الخامس والأربعون

مجلس الشورى

أعماله القضائية

أولا : إضعاف ما كان لمجلس الشورى من حقوق قضائية

ثانياً : حقوق المجلس القضائية بالقياس إلى العمال

ثالثاً : امتحان المجلس لأعضاء الشورى وللأركون

رابعاً : تشاور المجلس أولا

أولا : كان لمجلس الشورى قديماً أن يقضى بالغرامة والحبس والموت .

ولكنه أسلم يوماً ما إلى الجلاد رجلا يسمى « لسيسماكوس » وإن هذا الرجل ليستعد للموت ، إذ أقبل رجل آخر يسمى « إيميليديس » الألوبيكى فانتزعه من أيدى قاتليه زاعماً أن ليس لأحد أن يقتل عضواً من أعضاء المدينة دون أن تقضى بذلك محكمة . فعرض الأمر على القضاة وبرئ « لسيسماكوس » فلقب منذ ذلك اليوم « بالمفلت من الدبوس » .

فسلب الشعب مجلس الشورى حق القضاء بالموت والحبس والغرامة وأصدر هذا القانون : يعرض « التسموثيتاى » على المحكمة ما يقضى به مجلس الشورى من موت أو غرامة أو حبس ، ورأى القضاة وحدهم لا مرد له .

ثانياً : يقضى مجلس الشورى على أكثر العمال ، لا سيما الذين يدبرون الأموال . ولكن قضاءه هنا أيضاً ليس قاطعاً ، بل يمكن استئنافه أمام المحكمة . لكل فرد من أفراد المدينة أن يتهم من شاء من عمال الحكومة أمام المجلس بالخيانة العظمى ، وبأنه قد انتهك حرمة القانون . ولكن للمتهم أن يستأنف قضاء المجلس أمام المحكمة .

ثالثاً : يمتحن المجلس أيضاً الأعضاء الذين سيتألف منهم مجلس الشورى فى السنة المقبلة ، والتسعة الذين سيشغلون منصب الأركون . وقد كان قديماً يملك إلغاء الانتخاب ، ولكن من ألغى انتخابه اليوم يستطيع أن يستأنف أمام المحكمة .

وفى كل هذه الأحوال ليس المجلس بصاحب الأمر المطلق .

رابعاً : يعد المجلس برنامج الجلسات لجماعة الشعب ، وليس للشعب

أن يصوت فى شىء إلا إذا درسه المجلس أولا وقيّده « البروتانوى » فى برنامج الجلسة . وبمقتضى هذه القاعدة فكل تصويت فى مسألة لم يقرها المجلس يجعلُ عارض هذه المسألة عرضة لأن يتهم بانتهاك حرمة القانون .

الفصل السادس والأربعون

مجلس الشورى

أعماله الإدارية

أولا — تفقده حال البحرية   ثانياً — تفقده حال العمارات العامة

أولا : على المجلس أن يتعهد السفن القائمة وأن يتعهد أدواتها وأحواض إصلاحها . وعليه أن يراقب بناء السفن الجديدة سواء كانت ذات صفوف ثلاثة أو أربعة من المقاذيف حسب ما قرره الشعب . وكذلك يراقب إعداد ما تحتاج إليه هذه السفن من الأدوات والمرافئ . يختار الشعب بواسطة رفع اليد مهندسين يكلفون بناء السفن . فإذا لم يستطع المجلس أن يسلم المجلس الذى يخلفه هذه السفن كاملة فليس له الحق فى المكافأة العادية ؛ فإن هذه المكافأة لا تُنال إلا فى السنة التى تلى العمل . وينتخب المجلس بين الأتينيين كافة عشرة يقومون على بناء السفن ذات الصفوف الثلاثة من المقاذيف .

ثانياً : يتعهد أيضاً كل العمارات العامة ، ويتهم أمام الشعب كل متعهد قصّر فى عمله . فبعد أن يقضى المجلس عليه بما يرى يقدم إلى المحكمة .

الفصل السابع والأربعون

مجلس الشورى

أعماله الإدارية

أولا : العلاقة بينه وبين العمال .
ثانياً : حفظة خزانة أتينا .
ثالثاً : البوليتاى وعرض المنافع العامة للمزايدة أو المناقصة
رابعاً : تأجير الأرض الموقوفة على الآلهة
خامساً: دفع المال .

أولا : يعين مجلس الشورى أيضاً العمال فى أكثر أعمالهم .

ثانياً : وأول هؤلاء العمال الذين يعينهم المجلس العشرة الحفاظ لخزائن أتينا . يعين الاقتراع منهم واحداً عن كل قبيلة من طبقة الذين يملكون خمسمائة « مديمنوس » بذلك يقضى قانون «سولون» الذى لا يزال معمولا به . ولكن من وقعت عليه القرعة شغل منصبه ولو كان شديد الفقر . وإنما يتسلم هؤلاء الحفظة أمام مجلس الشورى تمثال أتينا وتماثيل النصر وغير ذلك من الحلى ، ومما اشتملت عليه الخزائن من مال .

ثالثاً : ثم يأتى بعد ذلك « البوليتاى » وهم عشرة يعينهم الاقتراع واحداً عن كل قبيلة . يقومون بما تحتاج إليه الدولة من عرض المنافع

للمزايدة أو المناقصة ، ويؤجرون المناجم يعينهم على ذلك حفاظ الخزائن الحربية والموكلون بإدارة « الثيوريكون » . كل ذلك فى جلسة مجلس الشورى ، ولا يقبلون مزايداً ولا مناقصاً ولا مؤجراً إلا إذا أعلن المجلس رضاه بواسطة رفع اليد .

فأما المناجم سواء منها المستغل الذى يؤجر لثلاث سنين ، وما تنزل عنه الدولة أبداً فى سبيل مبالغ يدفع من حين إلى حين ، فيكون عرضها للمزايدة بين يدى مجلس الشورى ، ولكن الذين يشغلون منصب الأركون هم الذين يقبلون الأعطية أو يرفضونها . وكذلك الشأن فى بيع ثروة الذين قضى عليهم مجلس « الأريوس پاجوس » أو قضى عليهم الشعب بـ « الآتميا » .

فأما الضرائب المبيعة لسنة فإن « اليوليتاى » يكتبون ثمنها الذى اتفق عليه فى ألواح بيض ويدفعون هذه الألواح إلى مجلس الشورى . ويكتبون على عشرة ألواح منفصلة أسماء الذين يجب عليهم أن يؤدوا الأموال فى كل « پروتانيا » . وعلى ألواح منفصلة أيضاً أسماء الذين يجب أن يؤدوا الأموال فى آخر السنة — لكل قسط لوحة — ثم على ألواح منفصلة أيضاً أسماء الذين يؤدون الأموال فى « البروتانيا » التاسعة .

ويكتبون أيضاً مقادير الأرض والدور المبيعة بمقتضى « ثبت » اتخذ أمام المحكمة . فإن هذه المزايدات من خصائصهم . فأما الدور فيجب أن تدفع أثمانها فى خمس سنين ، وأما الأرض فتدفع أثمانها فى عشر . وتؤدى الأقساط فى « البروتانيا » التاسعة .

رابعاً : فأما الأرض الموقوفة على الآلهة فإن « الأركون » الملك هو الذى يقدم إلى المجلس تقريراً عما عرض لها من أجر فى المزايدة ، ويكتب أسماء المستأجرين على ألواح بيض تؤجر هذه الأرض لعشر سنين وتدفع الأقساط فى « البروتانيا » التاسعة . ومن هنا كان أكثر ما تجبيه الدولة من المال إنما يجبى فى هذه « البروتانيا » .

خامساً : تحمل إلى المجلس الألواح التى كتبت فيها الأقساط الواجبة الأداء ويحفظها الكاتب . فإذا حل أجل الأداء لبعض هذه الأقساط نزع الكاتب الألواح التى يجب أن تؤدى عن العمود الذى كانت قد علقت إليه ودفعها إلى « الأبودكتاى »[1]. فإذا أدى ما كان قد كتب عليها من الأقساط ، محيت هذه الأقساط . وقد رتبت الألواح الأخرى منفصلة حتى لا تمحى قبل ميعادها .

الفصل الثامن والأربعون

مجلس الشورى

أعماله الإدارية

أولا : الأبودكتاى . ثانياً : اللوجيستاى . ثالثاً : الأوثينيس .

أولا : « الأبودكتاى » عشرة ينتخبون بالاقتراع واحد عن كل

(١) هم عشرة كانوا يقومون على حساب أموال الدولة وكانوا يقبضون هذه الأموال ويقسمونها بين العمال .

قبيلة . تدفع إليهم الألواح فى جلسة مجلس الشورى بقصره ، فيمحون ما كتب عليها بعد أن تؤدى الأقساط ويردونها إلى الكاتب . فإذا قصَّر مقصر عن دفع القسط عنى « الأبُّودكتاى » بتقييد اسمه على لوحة . وعلى المدين أن يؤدى ما عليه مضاعفاً وإلا تعرض للحبس . وعلى المجلس أن يتقاضى هذا الدين ، والقانون يمنحه الحق فى أن يَغلّ المدين الذى يقصر عن الأداء

وفى اليوم نفسه الذى يتسلم « الأبُّودكتاى » فيه الأموال يجب عليهم أن يقسموها بين العمال . فإذا كان الغد قدموا إلى المجلس ألواحاً كتبت فيها مقادير ما دفعوا إلى العمال ، وقرءوا هذه الألواح وطلبوا إلى المجلس فى جلسته أن يدلهم على كل ما اقترفه عامل من عمال الدولة ، أو فرد من الأفراد من مخالفة للنظام فى تقسيم الأموال ، فإذا ذكرت بعض هذه الأغلاط أخذ « الأبودكتاى » فيها الآراء .

ثانياً — ينتخب المجلس من بين أعضائه بواسطة الاقتراع عشرة هم « اللوجيستاى »[1] يكلفون أن يتلقوا فى كل « بروتانيا » حساب العمال . وكذلك يختار بالاقتراع عشرة « أوثينيس »[2] واحداً عن كل قبيلة . و « باردرين »[3] يعينان كل واحد منهم . يجب على « الأوثينيس » فى عصر أداء الحساب أن يجلس كل واحد منهم أمام تمثال البطل الذى

---

(١) مراقبو الحساب .

(٢) نوع آخر من مراقبى الحساب كانوا يبحثون حساب العمال بعد انتهاء أعمالهم.

(٣) مثنى « باردروس » وهو المعين .

تسمى باسمه القبيلة ، وأن يسمع لكل عضو من أعضاء المدينة أن يرفع الدعوى المدنية أو الجنائية على كل عامل من عمال الحكومة ، بشرط ألا يتأخر ذلك عن ثلاثة أيام منذ أدى هذا العامل حسابه أمام المحكمة . يكتب المدعى فى لوحة بيضاء اسمه واسم المدعى عليه وما يتّهمه به، وتقدير هذه التّهم ماليًّا . ويدفع هذه اللوحة إلى «الأوثينيس» الذى يطلع عليها ، فإن رأى وجوب القضاء على المدعى عليه أحال الأمر على قضاة « الديموس » الذين يكلفون عرض ما يتعلق بهذه القبيلة على المحكمة . فإن كان موضوع الخصومة أمراً عاماً وجب على « الأوثينيس » أن يقيدها فى مكتب « الثسموثيتاى » فإذا تسلم اللوحة هؤلاء عرضوا الحساب على المحكمة لتعيد النظر فيه ، وحكمها لا مرد له .

الفصل التاسع والأربعون

مجلس الشورى

أعماله الإدارية

١ — مراقبته خيل الفرسان

٢ — مراقبته فرسان الطلائع

٣ — مراقبته للرجالة ذات السلاح الخفيف

٤ — تجنيد الفرسان

٥ ــ ملاحظة رسوم المهندسين ونماذج الپيلوس
٦ ــ مراقبة تماثيل النصر وما يصرف من الجوائز فى عيد پاناتينايا
٧ ــ الإشراف على أصحاب العاهات

أولا : يتعهد المجلس أيضاً خيل الفرسان . وكل فارس تقاضى أجره ثم لم يُعن بفرسه قضى عليه بغرامة تعدل ما يحتاج إليه الفرس من نفقة . وكل فرس لم يكن قادراً على إحسان الجِراء، أو ساء تعليمه فأصبح لا يصلح للبقاء فى صفه ، فهو موسوم بالنار على فكه ، ومرفوض عند التعهد .

ثانياً : يتعهد المجلس أيضاً الفرسان المستكشفين ، ويرى أيصلحون للخدمة ، فإذا قرر برفع اليد فصل واحد منهم أنزل هذا عن فرسه .

ثالثاً : يتعهد المجلس أيضاً فرق المشاة ذات السلاح الخفيف الذين يقاتلون بين الفرسان ، فإذا قرر فصل واحد من هذه الفرق فأجره مقطوع .

رابعاً : يقوم بتجنيد الفرسان عشرة من الضباط يختارهم الشعب بواسطة رفع اليد . وهؤلاء الضباط يقدمون « ثبت » المجندين إلى « الهيپاركوى » و « الفولاركوى » .

وهؤلاء يقدمون هذا الثبت إلى مجلس الشورى ويفضون ثبتاً آخر قد ختم عليه وقيدت فيه أسماء الفرسان الذين أدوا الخدمة . فإذا كان أحد الفرسان قد أدى الخدمة وأقسم أن صحته تأبى عليه استئناف ذلك محى اسمه . ثم يدعى الذين جندوا . فأيهم أقسم أنه لا يستطيع الخدمة لضعف

صحته أو لقلة ماله أعنى منها ، ومن لم يعتذر مقسماً هذه اليمين قرر المجلس فى أمره بواسطة رفع اليد ، فإن قرر التصويت أنه صالح للخدمة كتب اسمه فى اللوحة ، وإلا رُدّ إلى ما كان فيه .

خامساً : كان للمجلس قديماً أن يختار بين ما يقدم المهندسون من رسوم البناء وبين نماذج « البپلوس »[1] . ولكن قضاة ينتخبون بالاقتراع قد استأثروا الآن بهذا الحق . فقد يظهر أن المجلس كان يتخذ المحاباة قاعدة للاختيار .

سادساً : يراقب المجلس أيضاً مع حفاظ الخزانة الحربية صنع تماثيل النصر[2] وما يعطى من المكافآت فى أعياد « الپاناتينايا » .

سابعاً : يمتحن المجلس أيضاً أصحاب العاهات ، فإن هناك قانوناً يقضى بأن كل من يملك أقل من ثلاث أمناء وكانت به عاهة بدنية تحول بينه وبين العمل ، وجب على المجلس أن يمتحنه ، وأن يعطيه فى كل يوم لطعامه على حساب الخزانة فلسين . بل إن هناك خازناً موكلا بهؤلاء الضعفاء ينتخب بواسطة الاقتراع .

وعلى الجملة يُعين المجلس العمال جميعاً فى أكثر أعمالهم .

هذه هى أعمال المجلس الإدارية .

---

(١) كساء مطرز كان يقدم إلى الإلهة أثينا فى عيدها المسمى « باناتينايا » ، والذى سبقت الإشارة إليه .

(٢) كان اليونان يعبدون النصر ويمثلونه فى شكل امرأة ذات جناحين قد أخذت بإحدى يديها تاجاً وبالأخرى غصناً من أغصان النخيل . وكانوا يسمونها « نيكا » . أما الأتينيون فكانوا يأبون أن يمنحوا آلهة النصر أجنحة مخافة أن تطير من مدينتهم .

الفصل الثم الخمسين

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

١ ــ العشرة المندوبون للعناية بالمعابد

٢ ــ العشرة الأستونوموى

أولا : يعين الاقتراع المندوبين العشرة الذين يعنون بالمعابد ، وهم يقومون بالإصلاحات التى ليس منها بد ، ينفقون فى ذلك ثلاثين مُناً يتقاضونها من « الأبودكتاى » .

ثانياً : ينتخب بالاقتراع « الأستونوموى »[1] العشرة ، خمسة منهم يعملون فى « پيرا » وخمسة يعملون فى المدينة ، ويعنون بألا يزيد أجر النساء اللاتى يلعبن بالمزمار والقيثارة على درهمين . فإذا اختلف رجال فى امرأة من هؤلاء النساء كلهم يريدها لنفسه اقترع بينهم « الأستونوموى » فأيهم أصابته القرعة دفعوها إليه . ويعنون أيضاً بألا يطرح الكناسون القاذورات إلا على بعد عشرة « ستاديا »[2] من أسوار المدينة . ويمنعون أن تقوم

---

(١) جمع « أستونوموس » وهو أحد العشرة الذين انقسموا بين أثينا و « بيرا » . كانوا مكلفين العناية بأمر الطرق أول الأمر ، ثم أضيف إلى عملهم العناية بمراقبة الآداب العامة فى هذه الطرق .

(٢) جمع « ستاديون » وهو مقياس يعدل سبعة وسبعين ومئة متر وأربعين سنتيمتراً .

الأبنية على الطرق العامة ، أو أن تسد الشوارع ، أو أن توضع فى أعلى البيوت مجارٍ تصب مياهها فى الشوارع ، أو أن تتخذ النوافذ[1] بحيث تطل على الشوارع . ويعنون أيضاً برفع من يدركه الموت فى الطريق العام . ولهم على ذلك أعوان تأجرهم الدولة .

الفصل الحادى والخمسون

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

١ ــ العشرة الآجورانوموى
٢ ــ العشرة المترونوموى
٣ ــ الخمسة والثلاثون الذين يراقبون الحبوب
٤ ــ العشرة الذين يراقبون الثغور التجارية

أولا : ينتخب العشرة « الآجورانوموى »[2] بواسطة الاقتراع أيضاً ، منهم خمسة لـ « پيرا » وخمسة للمدينة ، يكلفهم القانون أن يعنوا بأن تكون الأشياء المبيعة كلها نقية وأن تباع بلا غش .

ثانياً : وكذلك يعين الاقتراع عشرة « مترونوموى » خمسة للمدينة

---

(١) كانت عادة اليونانيين ألا يتخذوا نوافذ تطل على الشارع ، وإنما كان لكل بيت فناء غير مسقوف تستمد الحجر منه الضوء .

(٢) جمع « آجورانوموس » وهو ملاحظ السوق ، يشبه المحتسب عند المسلمين من بعض الوجوه كالعمال الذين يلونه .

وخمسة لـ « پيرا » يكلفون العناية بأن تكون الموازين والمكاييل التى يستعملها التجار عادلة .

ثالثاً : كان يوجد قديماً عشرة يراقبون تجارة الحبوب ، خمسة لـ « پيرا » وخمسة للمدينة . أما الآن فهم عشرون للمدينة وخمسة عشر لـ « پيرا » . عليهم أولا العناية بأن يباع ما فى السوق من الحبوب بالثمن المعروف . ثم بأن يبيع أصحاب الأرحية دقيق الشعير بثمن يناسب ثمن الحبوب . ثم بأن يباع الخبز بثمن يلائم ثمن القمح وبمقتضى الموازين التى عينها المفتشون . وذلك أن القانون يكلفهم تعيين مقادير الخبز .

رابعاً : كذلك يعين الاقتراع العشرة الذين يراقبون الثغور التجارية . وعليهم مراقبة الثغور المختلفة التى تشتغل بالتجارة ، وأن يأخذوا التجار بأن ينقلوا إلى أتينا ثلثى ما ينزلون فى الثغور من الحبوب .

الفصل الثانى والخمسون

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

١ — الأحد عشر . القضاء على من أخذ مقترفاً للجريمة
٢ — الدعاوى التى يقيمها الأحد عشر
٣ — الخمسة المدعون والدعاوى التى يجب أن يقيمها المدعون
٤ — الدعاوى التى يجب الفصل فيها فى مدة شهر والتى يقيمها الأبودكتاى

أولا : كذلك يعين الاقتراع الأحد عشر الذين يديرون السجن . وهؤلاء الأحد عشر يقتلون السارق إذا أخذ وهو يقترف الجريمة واعترف بجريمته ، سواء أكان سارق شيء أو إنسان . فإذا أنكر المتهم قدمه الأحد عشر إلى المحكمة ، فإن بُرئ ردوه إلى حريته وإلا قتلوه فى الحال .

ثانياً : يقيم الأحد عشر أمام المحكمة الدعاوى على كل من اغتصب أرضاً أو دوراً تملكها الدولة . وكل عين قضت المحكمة بأنها ملك الدولة فعلى الأحد عشر أن يسلموها إلى « البوليتاى » . وكذلك يقيم الأحد عشر الدعوى على من اتهمه بعض الأفراد سراً باقتراف جريمة ما ، فإن هذه الدعاوى تقع فى اختصاصاتهم . ومع ذلك فقد يقيم «الثسموثيتاى» هذه الدعاوى.

ثالثاً : كذلك يعين الاقتراع خمسة مدعين واحداً عن كل قبيلتين . وعليهم أن يقيموا أمام المحاكم الدعاوى التى يجب الفصل فيها فى مدة شهر ، وهذه الدعاوى هى :

دعاوى المهر ، ودعاوى المطالبة بأداء الدين ، والدعاوى التى يطلب فيها دفع فائدة لقرض قد اتفق عليه ، بشرط ألا تتجاوز الفائدة « درهماً فى الشهر عن كل مناً[1] » ، والدعاوى التى يطالب فيها برد رأس مال اقترض ليتجر به فى «الآجورا» ، ودعاوى القذف ، ودعاوى الخصومة بين « الإيرانيستاى »[2] وبين الشركاء ، والدعاوى التى تنشأ من بيع الرقيق

---

(١) يعدل مئة درهم كما قدمنا . فتكون الفائدة القانونية اثنى عشر درهماً فى المئة .

(٢) جمع «إيرانيستيس» وهو أحد أعضاء « الإيرانوس » ، و « الإيرانوس » جماعة كانت تتألف من الأصدقاء يلتقون من حين إلى حين على مائدة مشتركة ،وكان كل واحد =

والحلوب ، والتى تنشأ من « التييراركيا »[١] أو عمل المصارف . كل هذه الدعاوى يقيمها المدعون ويجب أن يفصل فيها فى مدة شهر .

رابعاً : وكذلك يفصل فى مدة شهر فى الدعاوى التى يقيمها «الأبودكتاى» لمصلحة من اشتروا الضرائب أو عليهم أيضاً . فإذا كان المبلغ المطلوب أكثر من عشرة دراهم أقام « الأپودكتاى » الدعوى أمام المحكمة وإلا قضوا فيه بأنفسهم قضاء غير مستأنف .

الفصل الثالث والخمسون

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

١ ــ الأربعون . اختصاصاتهم . العلاقة بينهم وبين المحكمين العامين

٢ ــ المحكمون العامون . تعيين المحكمين «إيپونوموى» الطبقات . الدعاوى التى تقام على المحكمين .

=منهم يدفع إلى الرئيس مقداراً من المال فى كل شهر . ثم تناولت هذه الجماعات موضوعات مختلفة سياسية واقتصادية واستحالت فى كثير من الأحيان إلى جماعات سرية لتدبير الثورات .

(١) ضريبة كان الأتينيون قد أقروها على أغنيائهم فى الحرب الميدية الثانية . وهى القيام ببناء سفينة للدولة ، وكان الغنى الذى يؤخذ بذلك ويقوم به قبطان سفينته ، فلما قلت الثروة بعد حرب « بيلوبونيسوس » قرر الأتينيون أنه يجوز أن يشترك اثنان فى بناء سفينة وأن يرأسها كل واحد منهما ستة أشهر . ثم قرروا فى منتصف القرن الرابع أن يشترك عدد كثير فى بناء سفينة ، وانقسم أغنياء المدينة إلى جماعات للقيام بهذا الغرض . ثم قرروا سنة أربعين وثلثمائة بتأثير « ديموستنيس » أن يعودوا إلى النظام القديم الذى كان متبعاً بعد حرب « بيلوبونيسوس » .

٣ – «إيپونوموى» الطبقات والخدمة العسكرية

أولا : يعين الاقتراع أيضاً أربعين أربعة عن كل قبيلة ، وعملهم القضاء فى سائر الدعاوى بمقتضى نظام يعينه الاقتراع ، وقد كانوا فى أول الأمر ثلاثين وكانوا يقضون متنقلين فى « الديموس » ولكن بعد حكومة الثلاثين زيد عددهم حتى بلغ الأربعين ، يقضون قضاء غير مستأنف فيما لا يتجاوز عشرة دراهم ، فإذا قدّر المدعى موضوع خصومته بأكثر من ذلك أحيل على المحكمين العامين . فإذا لم يفلح المحكم فى الإصلاح بين المتخاصمين أصدر حكماً . فإن قبله الخصمان وأخذا أنفسهما بتنفيذه انتهت القضية . وإن استأنف أحد الخصمين أمام المحكمة اتخذ المحكم إناءين ، إناء للمدعى وإناء للمدعى عليه ، ووضع فى كل منهما ما كان من شهادة وإعذار ، وما احتج به الخصم من نصوص القانون ، ثم يختم الإناءين ويلصق بهما حكمه . وقد كتب على لوحة . ثم يدفع كل هذا إلى أفراد الأربعين الذين عليهم أن يقيموا دعاوى قبيلة المدعى عليه . وهؤلاء يأخذون الأمر على عاتقهم ويقيمون الدعوى أمام محكمة يؤلفها واحد ومئة عضو ، أو واحد وأربعمائة عضو ، بمقتضى مقدار موضوع الخصومة ، إن زاد أو نقص عن ألف درهم . ومحظور أن يلجأ أمام المحكمة إلى قانون أو شهادة أو إعذار غير ما ذكر أمام المحكم واشتمل عليه الإناءان .

ثانياً : يصلحُ حكماً عامًّا كل عضو من أعضاء المدينة قد بلغت سنه ستين إلى واحد وستين سنة ، ولأجل أن تعرف أسنانهم يستعان

« بثبت » الأركون و «الأيبونوموى»[١] . وهناك نوعان من « الأيپونوموى » : الأول الأبطال العشرة « الأيپونوموى » للقبائل . الثانى الاثنان والأربعون « أيپونوموى » للطبقات العسكرية[٢] . وذلك أنه حين كانت تكتب أسماء «الأفيبوى» على ألواح بيض كان يكتب إلى جانبها اسم الأركون الذى كان يشغل منصبه فى هذه السنة ، واسم البطل الذى اتخذه المحكمون « إيپونوموس » لهم فى السنة الماضية . هذا الثبت منقوش الآن على عمود من البرونز ، وهذا العمود يقام فى كل سنة أمام قصر مجلس الشورى بالقرب من تماثيل الأبطال العشرة « الأيبونوموى ». فيأخذ الأربعون أسماء الذين قيدوا تحت آخر « الأيپونوموى » ويقسمون بينهم عمل التحكيم ، ولأجل أن يقسموا بينهم الأعمال فهم يستشيرون الاقتراع ليعينوا لكل واحد منهم عمله . وعلى كل واحد منهم أن يحكم فى الخصومات التى يضيفها إليه الاقتراع . وذلك أن القانون ينص على أن كل عضو من أعضاء المدينة قد بلغ السن المطلوبة ، ولم يقم بعمل المحكم ، قضى عليه بالآتميا ، إلا أن يكون قد كلف فى هذه السنة عملا آخر من أعمال الدولة ، أو كان غائباً

(١) جمع « إيبونوموس » وهو الذى يعطى اسمه لشىء آخر . فالأركون « إيبونوموس » هو الذى كانت تسمى السنة باسمه . والبطل « الإيبونوموس » هو الذى كانت تسمى باسمه أسرة أو قبيلة أو مدينة .

(٢) كان الأتبنى يبدأ خدمته العسكرية فى الثامنة عشرة من عمره فيمضى سنتين فى التعلم ثم هو خاضع لنظام التعبئة حتى يبلغ الستين فيعفى من العمل فى الجيش . ومن هنا كان الجيش الأتبنى يتألف من اثنتين وأربعين طبقة . أولاها الشبان الأحداث الذين بدءوا الخدمة فى الثامنة عشرة ، وأخراها الشيوخ الذين يتمونها فى الستين .

عن أتيكا . وهذان هما العذران الوحيدان .

على أن من الممكن أن يتهم بطريق التبليغ السرى أمام جماعة المحكمين المحكم الذى يؤخذ ببعض الذنوب ، فإن حكم عليه فالقانون يصيبه بالآتميا ، ولكن هذا المحكم يستطيع أن يستأنف .

ثالثاً : وكذلك يستعان بثبت « الأيپونوموى » فى الخدمة العسكرية . فإذا أريد إرسال فرقة من الذين تمكنهم سنهم من الخدمة فى غزوة من الغزوات صدر أمر التجنيد فى إعلان يوجه إلى كل الرجال منذ فلان الأركون ، وفلان الأيپونوموى ، إلى فلان الأركون ، وفلان الأيپونوموى .

الفصل الرابع والخمسون

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

١ — الخمسة الذين يعنون بإصلاح الطرق
٢ — العشرة اللوجيستاى والعشرة السينوجوروى . أداء الحساب
٣ — الكتاب . كاتب المحفوظات من البروتانيا
٤ — كاتب القوانين
٥ — الكاتب القارئ ينتخب
٦ — المضحون . العشرة المندوبون للتضحية
٧ — العشرة المضحون للسنة

٨ — أركون سلامين وديماركوى پيرا

أولا : كذلك يعين الاقتراع العمال الآتين :

الخمسة الذين يكلفون إصلاح الطرق العامة[1] بواسطة عمال تأجرهم الدولة ويعملون تحت إشرافهم

ثانياً : « اللوجيستاى » العشرة و « السينوجوروى »[2] العشرة الذين يتلقون حساب العمال جميعاً لهم وحدهم الحق فى امتحان عمل الحساب وعرضه على المحكمة ، إن دعت إلى ذلك الحاجة . وإذا ثبت أن أحد العمال قد حوّل أموال الدولة حكم عليه القضاة حكمهم على السارق . وألزم دفع عشرة أضعاف المبلغ الذى أثبتت المحكمة أنه حوّله ، وإذا أثبت « اللوجيستاى » شيئاً يدل على أن الحاسب قد ارتشى حكم عليه القضاة حكمهم على المرتشى ، وألزم أن يدفع عشرة أضعاف الرشوة التى قبلها . فإذا اتهم الحاسب بالعبث قدّرت المحكمة عبثه ولم تلزمه إلا بدفع المقدار نفسه . ولكن هذا المقدار يضاعف إذا لم يدفع قبل « البروتانيا » التاسعة . فأما العشرة أضعاف فلا تتضاعف أبداً .

ثالثاً : وكذلك ينتخب بالاقتراع الكاتب الذى يسمى كاتب

---

(١) يراد بها الطرق التى تصل المدن والقرى بعضها ببعض . وهو ما يشبه طرقنا الزراعية .

(٢) جمع سينوجوروس . وهو مدع عام كان ينتخب ليقوم باتهام من أحدث فى الدولة حدثاً يضاد القوانين القائمة أو يعرض الدولة للخطر . ويظهر أن الأتينيين قد أضافوا إلى اختصاصاتهم ما ذكره أرسطاطاليس ، فأصبحوا مكلفين أن يتلقوا مع اللوجيستاى حساب العمال إذا أتموا أعمالهم .

« البروتانيا » وعليه إدارة المحفوظات وحفظ القرارات ، وينسخ غير ذلك من العقود ويحضر جلسات مجلس الشورى . وقد كان هذا المنصب قديماً انتخابياً وكان الشعب يختار له أشهر الناس. وذلك أن اسم الكاتب يوجد على الأعمدة فى رأس المحالفات والقرارات التى تمنح حق « البروكسينيا »[١] أو تخول الحقوق السياسية . أما الآن فيختار بالاقتراع .

رابعاً : كذلك يعين الاقتراع كاتب القوانين الذى يحضر جلسات مجلس الشورى ويستنسخ القوانين جميعاً .

خامساً : وهناك كاتب ثالث ينتخبه الشعب ، وهو مكلف قراءة الأوراق فى مجلس الشورى وجماعة الشعب، ليس له عمل إلا هذه القراءة .

سادساً : يختار الشعب بواسطة الاقتراع المضحين العشرة الذين يسمونهم « مندوبى التضحية » عليهم تقديم ما يأمر به الوحىُ من ضحية. وإذا قضت الضرورة فى عمل من الأعمال باستشارة العلامات السماوية فعلوا ذلك مشتركين مع الكهنة.

سابعاً : وكذلك يختار الشعب بالاقتراع عشرة مضحين يسمون

---

(١) كان هذا اللفظ يدل على معنيين متباينين : الأول ما كانت المدينة تعطى لبعض أفرادها من حق حماية بعض الغرباء،فكان صاحب هذا الحق مثلا سياسيا للمدينة التى تكلف حمايتها . وكان الشبه شديداً بينه وبين القناصل اليوم . وربما كان يتقاضى من المدينة المحمية أجراً .

الثانى حقوق كانت تمنحها المدينة لبعض الغرباء النازلين فيها، منها حضور جلسات الشورى وجماعة الشعب . ومنها الإعفاء من الضرائب . ومنها الإيثار بأحسن الأماكن فى ملاعب التمثيل . ويظهر أن المعنى الأول هو الذى يريده أرسطاطاليس .

« مضحى السنة » عليهم أن يقدمون بعض الضحايا . وهم يرأسون الأعياد التى تقام كل أربع سنين إلا أعياد «الپاناتينايا» . وهذه الأعياد خمسة :

أولا : عيد « ديلوس »[١] . وهناك عيد يقام فى « ديلوس » كل ست سنين . ثانياً : عيد « بروورون »[٢]. ثالثاً : عيد « هيراكليس »[٣] . ثم الأليزينيات[٤] . خامساً : « الپاناتينايا » . ولا سبيل إلى أن تقع ثلاثة من هذه الأعياد فى سنة واحدة : على أنها قد نظمت بقانون صدر حين كان « كيفيزوفون » أركوناً .

ثامناً : وكذلك ينتخب بالاقتراع أركون « سلامين » و« ديماركوس » «پيرا» وكلاهمايكلف إقامة عيد «ديونوزوس» وانتخاب « الكوريجوس »[٥] . وفى سلامين « ثبت » رسمى لأسماء الأركون .

---

(١) جزيرة صغيرة فى بحر إيجيا كانت سابحة فى البحر فأقرها ذوس فى مكانها وآوى إليها خليلته لاتونا ، وكانت حاملا فولدت فيها أبولون وأخته أرتميس . وكان الأتينيون يوفدون إليها وفداً من شبانهم ليقيم فيها عيد الإله كل أربع سنين .

(٢) موضع فى أتيكا اسمه اليوم فراونا . كان الأتينيون يقيمون فيه عيداً لأرتميس

(٣) كان يقام فى مراثون .

(٤) هى الأعياد التى كانت تقام فى اليزيس تكريماً لديميتير .

(٥) عضو من أعضاء المدينة كان ينتخب للانفاق على الجوقة التى كانت تعمل فى ملاعب التمثيل أثناء الأعياد . وكان الاركون يختاره من بين عشرة تعينهم القبائل ، واحد عن كل قبيلة . وكان يجب ألا تقل ثروته عن ثمانية عشر ألف درهم . وعليه أن ينتخب أفراد الجوقة ، وأن يختار لهم معلماً وأن يغذوهم ويكسوهم ويأجرهم . فإذا تم التمثيل وفازت جوقته فى المسابقة منحه الشعب كجائزة مائدة يهديها إلى الإله وقد نقش عليها اسمه واسم معلم الجوقة ، والشاعر الذى وضع القصة . وكان هذا العمل يكلف الكوريجوس ما يزيد على خمسة آلاف درهم . فلما نقصت ثروة الأتينيين بعد حرب بيلوبونيسوس أبيح أن يشترك فيه اثنان .

الفصل الخامس والخمسون

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

التسعة الذين يشغلون منصب الأركون

١ ــ طريقة اختيارهم
٢ ــ امتحانهم
٣ ــ حلفهم لليمين

هؤلاء العمال الذين يختارون بالاقتراع ، وهذه هى اختصاصاتهم :

أولا : فأما الذين يسمونهم أركوناً فقد قلنا كيف كانوا يختارون فى أول الأمر ، وكلهم اليوم وهم « التسموثيتاى » وكاتبهم والأركون والملك و « البوليمارکوس » ينتخبون بواسطة الاقتراع ، واحد عن كل قبيلة وبمقتضى نظام مقرر بين القبائل .

ثانياً : هؤلاء التسعة الذين يشغلون منصب الأركون يمتحنهم مجلس الخمسمائة أولا . أما الكاتب فلا تمتحنه إلا المحكمة كغيره من عمال الحكومة . وذلك أن القاعدة أن كل عامل ، سواء انتخب أو عين بواسطة الاقتراع ، فليس له أن يتولى عمله إلا بعد أن يمتحن . فأما التسعة الذين يشغلون منصب الأركون فيؤدون امتحانهم أمام المجلس أولا ثم أمام المحكمة . وقد كان الأركون الذى يرفضه مجلس الشورى لا يستطيع أن يشغل

منصبه ، أما الآن فهو يستطيع أن يستأنف أمام المحكمة التى تقضى فى الامتحان قضاء لا مرد له .

وهذه هى المسائل التى تلقى فى الامتحان : من أبوك ؟ ومن أى ديموس هو ؟ ومن جدك لأبيك ؟ ومن أمك ؟ ومن جدك لأمك ؟ ومن أى ديموس هو ؟

ثم يسأل بعد ذلك : أيعبد أپولون باترووس ؟[١] وذوس أركيوس[٢] ؟ وأين أدوات هذه العبادة ؟ أله فى البلاد مقابر دفنت فيها أسرته ؟ وأين هى ؟ أيؤدى حق أبويه ؟ أيؤدى ضرائبه ؟ أأدى خدمته العسكرية ؟

فإذا ألقى الرئيس هذه المسائل واحدة بعد واحدة ، استمر قائلا : هات شهودك . فإذا سمع هؤلاء الشهود سأل الرئيس : أيوجد معارض ؟ فإذا تقدم معارض أمر الرئيس بسماع الاتهام والدفاع . ثم أمر أن يعلن المجلس آراءه بواسطة رفع اليد . فأما تصويت القضاة فى المحكمة فيكون بالطريقة السرية . فإذا لم يتقدم معارض أخذت الآراء حالا .

وقد كانت العادة قديماً أن يكتفى بأن يعطى قاض واحد رأيه ، أما الآن فيجب أن يعطى القضاة جميعاً آراءهم فى كفاية الأركون ، حتى إذا كان بعض المرشحين غير الأكفاء قد استطاع أن يتخلص من متهميه ، لم يمنع ذلك القضاة من إبعاده عن العمل .

---

(١) معناه الجد الأعلى وكان الأتينيون يعتقدون أنه من سلالة أبولون فكانوا يعبدونه كما كان اليونان يعبدون أجدادهم .

(٢) معناه حافظ البيت وحامى الأسرة .

ثالثاً : فإذا أدى التسعة امتحانهم ذهبوا إلى حيث الحجر المقدس الذى توضع عليه أحشاء الضحايا ، والذى يقسم عليه المحكمون قبل أن يحكموا والشهود قبل أن يشهدوا .

فيصعد التسعة على الحجر ويقسمون : ليؤدن أعمالهم عادلين مطيعين للقوانين ، وليمتنعنّ عن قبول الهدايا لأداء أعمالهم ، وليقدمنّ إن قبلوها تمثالا من الذهب . فإذا أقسموا هذه اليمين صعدوا إلى « الأكروپوليس » حيث يؤدونها مرة ثانية ثم يبدءون أعمالهم .

الفصل السادس والخمسون

التسعة الذين يشغلون مناصب الأركون

١ ــ أعوان الأركون والملك والپوليماركوس
٢ ــ الأركون . أعماله الإدارية . تعيينه للكوريجوى . تنظيمه للحفلات والأعياد الدينية
٣ ــ اختصاصاته القضائية . الدعاوى التى يقيمها الأركون . حمايته للضعفاء

أولا : للأركون والملك و « الپوليماركوس » أن يختار كل واحد لنفسه عونين يؤديان امتحانهما أمام المحكمة ، قبل أن يبدآ عملهما وحسابهما بعد أن يخرجا منه .

ثانياً : لا يكاد الأركون يبدأ عمله حتى يعلن بواسطة الصائح العام ما يأتى : « من كان يملك شيئاً قبل أن يبدأ الأركون الجديد عمله فهو مالك له إلى أن يتم الأركون هذا العمل » ثم يعين « الكوريجوى » لمسابقة «التراجيديا» وهم ثلاثة يختارهم من بين أكثر الأتينيين ثروة . وكان يختار قديماً « الكوريجوى » للمسابقة فى الكوميديا وعددهم خمسة . وهم الآن يعينون بواسطة القبائل نفسها . يستقبل الأركون أيضاً « الكوريجوى » الذين تعينهم القبائل ، وهم « الكوريجوى » لجوقات الرجال والأطفال ولجوقات الكوميديا التى تعمل فى أعياد « ديونيزوس » ولجوقات الرجال والأطفال فى «الثرجيليا»[١] وهم عشرة « للديونيزيا »[٢] ، واحد عن كل قبيلة وخمسة « للثرجيليا » واحد عن كل قبيلتين بمقتضى نظام مقرر بين القبائل .

يأخذ الأركون حينئذ فى نقل[٣] الثروة ويقدم إلى المحكمة الأسباب التى يقدمها من يريد التخلى عن « الليثرجيا »[٤] ، إما لأنه قد احتمل

(١) أعياد كان الأتينيون يقيمونها لأبلون وأرتميس فى شهر ثارجليون ، ويقع هذا الشهر فى أواخر مايو وأوائل يونيو .

(٢) عيد ديونيزوس

(٣) كانت العادة فى المدن اليونانية لا سيما أتينا أن تفرض المدينة على أغنيائها القيام بأعمال عامة على حسابهم الخاص ، كبناء السفن وتعليم جوقات التمثيل . وكان لكل من فرض عليه ذلك أن يحاول التخلص منه فيزعم أن فى المدينة من هو أكثر منه ثروة ، ويعلن أنه قابل أن ينزل عن ثروته لهذا الرجل ، وأن يأخذ ثروته ، فإن قبل الخصم هذا العرض فذاك ، وإلا رفع الأمر إلى الأركون ففصل فيه . وأى الرجلين كان أكثر ثروة ألزم القيام بهذا العمل المفروض .

(٤) هى الضرائب الاستثنائية التى أشرنا إليها فى الحاشية السابقة .

ثقلها ، وإما لأنه ليس مكلفاً أداءها إذ هو قد أدى عملا آخر يعفيه منها ولما ينقض أجل الإعفاء بعد ، وإما لأنه لما يبلغ بعد الأربعين سنة . وذلك أن كل « كوريجوس » لجوقة الأطفال يجب أن يكون قد أتم الأربعين .

وكذلك يختار الأركون « الكوريجوس لديلوس »[١] و « الأركيثيوروى »[٢] الذين يقودون إلى الجزيرة الشبان فى السفينة ذات الثلاثين قذافاً .

فأما الحفلات التى يديرها فهى : التى تقام تشريفاً لاسكليپيوس[٣] يوم يلزم الشبان الذين يطلعون على الأسرار منازلهم ، والتى تقام فى « الديونيزيا » العظمى يشترك فى إدارتها مع المندوبين العشرة الذى كان ينتخبهم الشعب قديماً ، وكانوا يتكلفون نفقات الحفلة : وهم الآن يختارون بواسطة الاقتراع ويتقاضون مئة مناً ثمناً للثياب وما إليها . وكذلك يدير حفلة « الثرجيليا » والحفلة التى كانت تقام لتشريف « ذوس سوتير »[٤]

وكذلك ينظم المسابقة فى « الديونيزيا » و « الثرجيليا » . هذه هى الأعياد التى له إدارتها .

ثالثاً : أما الدعاوى العامة والخاصة التى تنال من الأركون[٥]

---

(١) لإقامة عيد أبلون الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق .

(٢) جمع أركثيوروس ، وهو أحد الذين يرأسون الشباب الذاهب من أتينا إلى ديلوس لإقامة عيد أبلون كما ترى .

(٣) ابن أبلون ، كان إله الطب .

(٤) أى المنجى .

(٥) أى التى يطلب إلى الأركون إقامتها .

بمقتضى نظام يعينه الاقتراع ، والتى يقيمها الأركون أمام المحكمة بعد تحقيقها فهى الآتية :

دعوى إساءة معاملة الأبوين « كل امرئ يستطيع أن يقيم هذه الدعوى من غير أن يتعرض لغرامة ما » .

ودعوى إساءة معاملة اليتامى « ترفع على الأوصياء » .

ودعوى إساءة معاملة « الأپيكليروس » ، « وهى ترفع على الوصى والزوج » .

ودعوى إساءة الإدارة لأموال اليتيم « وهى ترفع أيضاً على الأوصياء » .

ودعوى السفه « ترفع على كل من اتهم بتبديد ثروته للسفه » .

ودعوى القسمة « ترفع على من يأبى قسمة ملك مشترك » .

ودعوى تعيين وصى .

ودعوى المطالبة بالوصاية حين يتقدم لها كثيرون لقاصر واحد .

ودعوى المطالبة بالميراث أو « الأپيكليروس » .

يعنى الأركون بحماية اليتامى و « الأپيكليروس » والنساء اللاتى يعلن أن قد مات عنهن أزواجهن وهن حاملات . فأى الناس أضر بهؤلاء فللأركون أن يقضى عليه بالغرامة أو أن يقدمه إلى المحكمة . وعلى الأركون أيضاً أن يؤجر أملاك اليتامى والأپيكليروس ، وأن يرتهن أملاك المستأجر . فإذا أبى أن يمنح القاصر ما هو محتاج إليه فللأركون أن يلزمه دفع ما يعدل ذلك من المال .

هذه أعمال الأركون .

الفصل السابع والخمسون

التسعة الذين يشغلون مناصب الأركون

١ ــ الملك . أعماله الإدارية . الاحتفال بالأسرار . تنظيم الأعياد
٢ ــ حقوقه القضائية . دعوى الإثم والخصومة بين الأسر الممتازة وبين الكهنة .
٣ ــ دعوى القتل . اختصاص « الأريوس پاجوس » والمحاكم العادية .

أولا : يرأس الملك الاحتفال بالأسرار[١] يشاركه فى ذلك أربعة ينتخبهم الشعب بواسطة رفع اليد، منهم اثنان ينتخبان من بين الأتينيين جميعاً ، وواحد من أسرة «إيموليپيس» وآخره من أسرة « كيروكيس » . ثم يرأس « ديونيز ياليانيون »[٢] يشتمل العيد على طواف ومسابقة . فأما الطواف فينظمه الملك مشتركاً فى ذلك مع المندوبين . وأما المسابقة فينظمها وحده . وعلى الجملة يعنى بكل الضحايا التى قررها الأجداد .

ثانياً ــ الدعاوى العامة التى يقيمها الملك هى دعاوى الإثم[٣]

---

(١) هذا الاحتفال جزء من أعياد « ديمتير » و « ديونوزوس » . كانت تمثل فيه بعض أعمال الإلهين وما اشتملت عليه حياتهما . ولم يكن يشهد هذا الحفل إلا من علموا هذه الأسرار ، وكانت إباحة شىء منها جريمة تستوجب القتل .

(٢) موضع كان يشهر فيه عيد « لديونوزوس » يسمى « ليانيا » وهذا الاسم مأخوذ من « لينوس » ومعناه أداة عصر الخمر . وكان يقام هذا العيد فى الشتاء .

(٣) هى دعاوى مخالفة الدين .

ودعاوى المطالبة بالكهانة . وكذلك يفصل فيما يقع بين الأسر الممتازة[١] وبين الكهنة من الخلاف .

ثالثاً — يقيم الملك كل دعاوى القتل ، وهو الذى ينطق بالحكم الذى يحرم المتهم حقوقه فى أن يكون عضواً من أعضاء المدينة .

ويميز بين تهمة القتل وتهمة الجرح .

فأما تهمة القتل الذى سبق الإصرار عليه فترفع مكتوبة إلى « الأريوس پاجوس » . وكذلك تهمة استعمال السم إذا أدى ذلك إلى الموت ، وتهمة الإحراق . هذه هى الجرائم التى يقضى فيها شيوخ « الأريوس پاجوس » .

فأما دعاوى القتل خطأ أو الشروع فى القتل أو قتل العبد أو قتل الأجنبى فيفصل فيها أمام « البلاديون »[٢] .

فإذا اعترف القاتل بالقتل بجريمته فيفصل فى قضيته أمام «الدلفنيون»[٣] إذا كان مع ذلك يزعم أن هذا القتل مشروع ، كأن يكون قد قتل الزانى بزوجته وهو يقترف الإثم ، أو قتل خطأ فى الحرب أحد مواطنيه ، أو قتل خصماً فى اللعب وهو يخاصمه .

ثم إذا كان رجل قد نفى لأنه اتهم بقتل يمكن أن تؤدى عنه الدية ، ثم اتهم بقتل أو جرح جديدين ، فإنه يحاكم فى « فرياتوس »[٤] يدافع

---

(١) هى أسر لها حقوق دينية خاصة منذ العهد القديم .

(٢) موضع كان يقوم فيه تمثال بلاس .

(٣) معبد أبولون دلفنيوس حامى البحارة .

(٤) موضع فى ساحل بيرا كانت تجتمع فيه المحكمة ويقف المتهم للقضاء على سفينة حتى لا يمس أرض الوطن وهو مجرم .

المتهم عن نفسه من أعـلا سفينة قـد رست بالقرب من الساحل .

وكل هذه الجرائم تقضى فيها محكمة عادية ينتخب أعضاؤها بالاقتراع ، إلا ما سبق أنه من اختصاص « الأريوس پاجوس » . يقيم الملك الدعوى فى هذه القضايا ويجلس القضاة فى الليل لا يظلهم سقف . وينزع الملك تاجه حين يقضى . وليس لمن اتهم بالقتل أن يطأ مكاناً مقدساً إلى يوم القضاء ، بل ليس له أن يأتى « الآجورا » فإذا كان يوم القضاء ذهب إلى المعبد ليقدم دفاعه ، فإذا اقترف القتل ولم يعلم الجانى أقيمت الدعوى على القاتل كائناً من كان .

يقضى الملك وملوك القبائل أمام « البرتانيون » فى تهم القتل التى يؤخذ بها الحيوان أو الأشياء الجامدة .

الفصل الثامن والخمسون

التسعة الذين يشغلون مناصب الأركون

١ ــ اليوليماركوس . أعماله الإدارية

٢ ــ اختصاصاته القضائية . العلاقة بينه وبين المتيكوى والإيسوتيليس والپروكسينوى

أولا : يكلف « اليوليماركوس» أن يضحى لـ « أرتيميس أجروتيرا »[١] و « أنواليوس »[٢] . وينظم الألعاب التى تقام تشريفاً لمن قتل فى الحرب . ويقوم بضحايا الاستغفار التى تقدم تشريفاً لـ « أرموديوس » و « أريستوجيتون » .

ثانياً : يختص « اليوليماركوس » بكل الدعاوى المدنية التى ترفع فى أى مكان على « الأيسوتيليس »[٣] و « البروكسينوى » وعليه أن يقسم هذه الدعاوى عشرة أقسام يضيفها بالاقتراع إلى القبائل العشر ، فيحولها قضاةُ كل قبيلة إلى المحكمين ، وهو بنفسه يقيم الدعوى أمام المحكمة إذا كانت موجهة إلى المعتق المنكر جميل سيده ، أو إلى « المتيكوس » الذى لا مولى له ، أو كان موضوعها الميراث أو « الأپيكليروس » .

وعلى الجملة يملك « اليوليماركوس » من الحقوق على « المتيكوى » ما يملكه الأركون على أعضاء المدينة .

---

(١) إلهة الصيد .

(٢) لقب أريس إله الحرب .

(٣) طائفة من الغرباء كانوا يعفون من بعض الضرائب ومن وجوب الموالاة وكان يباح لهم الملك .

الفصل التاسع والخمسون

التسعة الذين يشغلون مناصب الأركون

١ ــ التسموثيتاى . تأليف المحاكم
٢ ــ اختصاصات التسموثيتاى . العلاقة بينهم وبين جماعة الشعب
٣ ــ اختصاصاتهم القضائية . الدعاوى الجنائية
٤ ــ امتحان العمال . ما تنطق به جماعة الديموس ومجلس الشورى من رفض أو عقوبة
٥ ــ الدعاوى الأخرى التى يقيمها التسموثيتاى
٦ ــ الاقتراع لتعيين المحاكم والقضاة

أولا : على « التسموثيتاى » قبل كل شىء أن يعينوا ويُعلنوا أيام جلسات المحاكم ، ثم أن يعينوا لكل عامل من عمال الحكومة المحكمة التى يرأسها . وعلى هؤلاء الرؤساء أن يقبلوا من اختير لهم من القضاة .

ثانياً : يرفع « التسموثيتاى » إلى جماعة الشعب كل اتهام بالخيانة العظمى ، ويديرون التصويت إذا قضى على المتهم ، ويقدمون إلى الشعب ما رفع إليه من طلب الأحكام الفرعية ، ويرفعون إليه كل اتهام بمخالفة القانون ، وكل ما يتهم به عارض قوانين غير مناسبة ، والتهم التى توجه إلى « البرويدروى » و « الأپيستاتيس » أثناء قيامهم بأعمالهم ، ثم يرفعون

إلى الشعب حساب « الاستراتيجوى » .

ثالثاً : ويقيم « التسموثيتاى » بين الدعاوى التى لا بد فيها من تقديم الضمانة الدعاوى الآتية ، وهى :

دعوى الاغتصاب للقب العضوية فى المدينة .

ودعوى الإفساد التى تقام على من اتهم بهذا الاغتصاب فاشترى قضاته .

دعوى السوكوفانتيا .

ودعوى الرشوة .

ودعوى التزوير فى تقييد الأسماء .

ودعوى الكذب فى الأعذار[١] .

ودعوى سوء القصد .

ودعوى التزوير فى محو الأسماء .

ودعوى الزنى .

رابعاً : يشرف « التسموثيتاى » على امتحان عمال الحكومة جميعاً . ويقدمون إلى المحاكم ما تنطق به جماعة « الديموس » من رفض وما يصدره مجلس الشورى من عقوبة .

خامساً : ويرفعون الدعاوى المدنية فى أعمال التجارة والمناجم وعلى العبد الذى يقذف الحر .

---

(١) يريد إقامة الدعوى على من زعم كاذباً أنه دعا إلى مجلس القضاء أحداً فلم يحضر .

يقرون ما كان بين الدولة وغيرها من الدول من الاتفاق ويرفعون أمام المحاكم الدعاوى التى تنشأ عن تنفيذ هذه الاتفاقات .

وكذلك يرفعون دعاوى التزوير فى الشهادة إذا أديت أمام « الأريوس پاجوس » .

سادساً : و « الشسموثيتاى » هم الذين يعينون لعمال الحكومة بواسطة الاقتراع المحاكم التى يرأسونها ، سواء أكانت مدنية أم جنائية ، ولكن جميع التسعة الذين يشغلون منصب الأركون هم الذين يشرفون على الاقتراع فى تعيين القضاة ، يعينهم على ذلك كاتب « الشسموثيتاى » . يشرف كل واحد منهم على الاقتراع فى قبيلته .

هذا ما يمس التسعة الذين يشغلون منصب الأركون .

الفصل المتم الستين

المناصب التى ينتخب أصحابها بالاقتراع

١ — الأثلوثيتيس . أعمالهم الإدارية
٢ — زيت الزيتون المقدس
٣ — الجوائز التى تعطى فى مسابقة الپاناتينايا

أولا : وكذلك يختار بواسطة الاقتراع « الأثلوثيتيس »[1] وعددهم

---

(١) رؤساء الألعاب .

عشرة واحد عن كل قبيلة ، فبعد أن يؤدوا امتحانهم يبقون فى العمل أربع سنين . عليهم أن ينظموا الطواف فى عيد « الپاناتينايا » والمسابقة الموسيقية والمسابقة فى الألعاب الرياضية وسباق الخيل . ويعنون مع مجلس الشورى بصناعة « الپپلوس » والجرات[1] ويدفعون الزيت إلى المنتصرين فى الألعاب الرياضية .

ثانياً : هذا الزيت يستخرج من أثمار أشجار الزيتون المقدسة ، وعلى الأركون أن يعنى بجنى هذا الزيت ، وعلى ملاك الأرض التى توجد فيها هذه الأشجار أن يدفعوا إليه « كوتولا »[2] ونصف « كوتول » عن كل شجرة . وقد كانت الدولة قديماً تؤجر هذه الأشجار . وأى الناس قطع أو اقتلع شجرة منها حوكم أمام « الأريوس پاجوس » . فإذا قضى عليه فالعقوبة هى الموت . ولكن منذ جرت العادة بأن يقدم الملاك هذا الزيت كأنه ضريبة — فقد أهمل استعمال هذه المقاضاة ، وإن ظل القانون قائماً — فأما الزيت الذى يستخرج من ثمر الأغصان الناشئة فلك للدولة ، وأما ما يستخرج من ثمر الشجرة نفسها فليس لها فيه شىء .

فإذا جمع الأركون زيت السنة دفعه إلى صاحب الخزانة على « الأكرپوليس » وليس له أن يكون عضواً فى « الأريوس پاجوس » قبل أن يؤدى هذا الزيت كله . يحفظ صاحب الخزانة هذا الزيت فى

---

(١) هى التى كان يحفظ فيها الزيت المقدس . وكان الأتينيون يعنون بتجويدها وتزيينها عناية خاصة .

(٢) مكيال يعدل ربع لتر .

« الأكروپوليس » حتى يأتى عيد « الپاناتينايا » فيدفعه إلى « الأثلوثيتيس » وهؤلاء يقسمونه بين الفائزين فى الألعاب الرياضية .

ثالثاً : وهذه هى الجوائز التى تمنح فى هذا العيد :

تمنح أشياء من الذهب والفضة للفائزين فى المسابقة الموسيقية ، ودرقة لمن فاز فى التمرينات الحربية . ويمنح الزيت لمن فاز فى الألعاب الرياضية أو فى سباق الخيل .

الفصل الحادى والستون

المناصب التى تنال بالانتخاب

المناصب الحربية

١ ــ الستراتيجوى العشرة

٢ ــ تقسيم العمل بين الستراتيجوى

٣ ــ مراقبة الشعب للستراتيجوى

٤ ــ سلطة الستراتيجوى

٥ ــ التاكسياركوى

٦ ــ الهيپاركوى

٧ ــ الفولاركوى

٨ ــ هيباركوس لمنوس

٩ – وكلاء البارالوس والأمونياس

تنال كل المناصب الحربية بالانتخاب

أولا : وأول هذه المناصب مناصب « الستراتيجوى » وهى عشرة، كان ينتخب لها واحد من كل قبيلة ، أما الآن فينتخبون جميعاً من بين الشعب كله من غير نظر إلى القبائل .

ثانياً : يقسم الشعب بواسطة رفع اليد على جماعة « الستراتيجوى » أعمالهم فيعين أحدهم لقيادة « الأوبليتيس »(١) حين يخرجون من الأرض لغزوة من الغزوات ، والآخر للمحافظة على البلاد لا يشترك فى الحرب إلا إذا حملت إليه . واثنان لـ «پيرا» أحدهما لـ « مونيكيا » والآخر لـ « أكتى » وعليهما أن يحتفظا بالـ « كيلى »(٢) و « پيرا » .

وآخر يعين لـ « السموريا »(٣) يكتب أسماء « التريير اركوى » فى المناوبة ويعمل فى نقل الثروة إن دعت إلى ذلك حاجة ، ويقدم إلى المحكمة ما يكون من نزاع بين المرشحين .

و « الستراتيجوى » الآخرون يرسلون إلى الخارج بمقتضى الحاجة .

ثالثاً : يجيب الشعب بواسطة رفع اليد فى كل « پروتانيا » على هذه المسألة ، أيؤدى « الستراتيجوى » أعمالهم كما ينبغى ؟ فإن عزل الشعب واحداً منهم حوكم هذا المعزول أمام المحكمة ، فإن قضى عليه عينت المحكمة

---

(١) هم المشاة ذوو الأسلحة الثقيلة .

(٢) الثغر .

(٣) جماعات الأغنياء الذين كانوا يكلفون بناء السفن .

العقوبة أو الغرامة . فإن بُرئ عاد إلى عمله .

رابعاً : و «للستراتيجوى» حين يقودون الجيوش أن يحكموا بالحبس أو النفى أو الغرامة على من يخالف النظام العسكرى . وقلّ ما يحكمون بالغرامة .

خامساً : وكذلك ينتخب بواسطة رفع اليد « التاكسياركوى » العشرة ، واحد عن كل قبيلة . وهم يقردون أهل قبائلهم ويعينون الضباط .

سادساً : وبهذه الطريقة نفسها ينتخب « الهيپّاركوى » وهما اثنان يؤخذان بين الأتينيين عامة لهما قيادة الفرسان ، يقود كل واحد منهما خمس قبائل . و للهيپّاركوى» على الفرسان من الحقوق ما « للستراتيجوى » على « الهوبليتيس » وهما خاضعان مثلهم للتصويت بواسطة رفع اليد .

سابعاً : وكذلك ينتخب « الفولاركوى » واحد عن كل قبيلة يقودون فرسان قبائلهم كما يقود « التاكسياركوى » مشاتها .

ثامناً : وكذلك ينتخب « الهيپّاركوس » الموكل بجزيرة « لمنوس » يقود الفرسان الذين يعسكرون فى « لمنوس » .

تاسعاً : وكذلك ينتخب الموكلون بالسفينة « اليارالية » والسفينة « الأمونية » [١] .

(١) سفينتان كانتا تنقلان إلى « ديلوس » شباب الأتينيين لإقامة عيد أبولون .

الفصل الثانى والستون

المناصب

١ ــ صورة الاقتراع
٢ ــ أجر العمال
٣ ــ المناصب التى يمكن أن تشغل غير مرة

أولا : كانت العادة قديماً اتخاذ طريقتين مختلفتين للاقتراع بالقياس إلى المناصب التى كانت تنال بالقرعة ، فكان بعضها ومنها مناصب الأركون يقترع لها فى القبيلة كلها ، وبعضها يقترع لها فى كل « ديموس » على حدة ، وكان يقع الاقتراع فى « التيزيون » . ولكن ظهر أن « الديموس » كان يبيع مناصبه ، فأصبح يقترع لهذه المناصب أيضاً فى القبيلة كلها ، لا يستثنى من ذلك إلا أعضاء مجلس الشورى ، وإلا الحرس الذين حفظ « الديموس » حق الاقتراع لهم .

ثانياً : أما أجور العمال فهى الآتية :

يتقاضى كل عضو من أعضاء المدينة عن كل جلسة يحضرها من جلسات الشعب ثلاثة فلوس . . . ودرهماً [1] عن جلسة عادية من

---

(١) لا شك فى أن بعض الأصل قد سقط من الناسخ . وإنما يريد أرسطاطاليس أن الرؤساء هم الذين يتقاضون درهما أو درهما ونصف درهم عن كل جلسة عادية أو استثنائية . فأما الأعضاء فقد سبق ذكر أجورهم وهى لا تتجاوز ثلاثة فلوس .

جلسات جماعة الشعب . وتسعة فلوس عن كل جلسة غير عادية .

ويقبض كل قاض ثلاثة فلوس عن كل جلسة من جلسات المحكمة .

وكل عضو من أعضاء مجلس الشورى يتقاضى خمسة فلوس عن كل جلسة . أما « البروتانوى » فيزادون على ذلك فلساً ثمناً لطعامهم .

أما التسعة الذين يشغلون منصب الأركون فيتقاضى كل واحد منهم أربعة فلوس ثمناً لطعامه . وعليهم أن ينفقوا على من يعينهم من السعاة وأصحاب المزامير [١] .

ويتقاضى أركون سلامين درهماً فى كل يوم .

أما « الأثلوثيتيس » فيتناولون طعامهم فى « البروتانيون » أثناء شهر « إيكاتومبيون » وهو الشهر الذى يقام فيه عيد « الباناتينايا » يبدأ فى اليوم الرابع منه .

أما « الأمفيكتيون »[٢] الذين يرسلون إلى « ديلوس » فيتقاضون درهماً عن كل يوم ويقبضون هذا الأجر فى « ديلوس » .

وكل العمال الذين يرسلون إلى ساموس ، وسكيروس ، ولمنوس ، أو أمبروس يتقاضون نفقاتهم من الفضة .

ثالثاً : المناصب الحربية هى وحدها التى يمكن أن تشغل غير مرة . فأما غيرها فلا يشغل إلا مرة واحدة ، حاشى مجلس الشورى فللعضو أن يدخله مرتين .

---

(١) هم الذين كانوا يلعبون بالمزامير أثناء تقديم الضحايا .

(٢) هم الذين كانوا يديرون عيد أبولون .

الفصل الثالث والستون

المحاكم

١ — تعيين القضاة . الأدوات اللازمة لتوزيع القضاة على المحاكم
٢ — الشروط التى لابد منها للقاضى
٣ — الطرق المستعملة لتعرف شخصية القضاة . نفع ألواح القضاة

أولا : يعين القضاة بواسطة الاقتراع . يقترع كل أركون فى قبيلته ويقترع كاتب « التسموثيتاى » فى القبيلة العاشرة .
وللمحاكم عشرة مداخل ، واحد لكل قبيلة . وهناك عشرون مكاناً للاقتراع ، اثنان لكل قبيلة . ومائة علبة للاقتراع أيضاً ، عشرٌ لكل قبيلة . وعشر علب أخرى توضع فيها لوحات الذين وقعت عليهم القرعة ليكونوا قضاة .

وعلى كل مدخل يوجد « هودريان »[1] وعصى بعدد القضاة الذين يحتاج إليهم ، وفى أحد « الهودريين » يوجد من ثمر البلوط عدد ما يوجد من العصى — وعلى هذا الثمر قد كتبت أرقام تبدأ من رقم أحد عشر —

(١) مثنى « هودريون » وهو نوع من الجرار ، وهو ما يسميه العامة (زلعة) ، إلا أن له مقبضين وغطاء متصلا به كان اليونان يتخذونه وعاء للسوائل فى البيوت ولإمارات التصويت فى المحاكم .

وقد كتب من هذه الأرقام بمقدار ما سيؤلف من محاكم .

ثانياً : كل عضو من أعضاء المدينة قد بلغ الأربعين يمكن أن يكون قاضياً بشرط أن لا يكون مديناً لخزانة الدولة ، وألا يكون قد قضى عليه بالآتميا . فأى الناس جلس للقضاء من غير أن يكون له فى ذلك حق فلمن شاء أن يتهمه بذلك أمام المحكمة ، فإن قضى عليه فعلى القضاة أن يعينوا العقوبة أو الغرامة اللتين قد تركتا لتقديرهم . فإن قضى عليه بالغرامة وكان مديناً للخزانة حبس حتى يؤدى أولا دينه إلى الخزانة ثم ما قضى به عليه من الغرامة .

ثالثاً : يحمل كل قاض لوحة من البقس قد كتب عليها اسمه واسم «الديموس» الذى ينسب إليه ثم أحد الأرقام من واحد إلى عشرة . وذلك أن القضاة يؤلفون فى كل قبيلة عشرة أقسام ، ويكاد عدد قضاة الأقسام أن يكون واحداً .

فإذا عين أحد « التسموثيتاى » ، بواسطة الاقتراع ، الأرقام التى تجب أن توضع على المحاكم ذهب الساعى فوضع على كل محكمة رقمها .

وبهذا الفصل ينتهى القسم الصالح من الكتاب ، وهو يقع فى العمود الثلاثين من البردى وفى اللوحة الثامنة عشرة من الطبعة الفوتوغرافية[١] ثم يليه جزء شديد الفساد قد كتبه ناسخ آخر . وكثير من المواضع فى هذا الجزء مستحيلة الفهم . وهذا الجزء يقع فى سبعة أعمدة من البردى .

---

(١) توجد نسخة من هذه الطبعة الفوتوغرافية بدار الكتب المصرية رقم ٤٥ من القسم الأفرنجى (لغة يونانية ولاتينية) .

وهى العمود الحادى والثلاثون إلى السابع والثلاثين . ويقع فى اللوحة التاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين من الطبعة الفوتوغرافية .

وكل هذا الجزء يتعلق بنظام المحاكم ونحن محاولون ترجمة ما بقى منه ترجمة حرفية من غير أن نقسمه إلى فصول ، لأن الناشر الإنجليزى والمترجمين الفرنسيين لم يحاولوا ذلك لتعذره .

العمود الحادى والثلاثون من البردى

فى اللوحة العشرين من الطبعة الفوتوغرافية

نظام المحاكم

١ ــ تأليف ثبت القضاة . الملاءمة بين الاقتراع فى اللوحات والاقتراع فى المكعبات

٢ ــ تقسيم القضاة بين المحاكم التى تجلس للقضاء

أولا : تقسيم العلب على القبائل وقد كتبت عليها الأرقام من واحد إلى عشرة ، فإذا وضعت لوحات القضاة فى علب كتب عليها رقم معين وأقبل الساعى فهز هذه العلب ، وأخذ أحد « التسموثيتاى » يأخذ من كل علبة لوحة . فأول قاض وقعت عليه القرعة يسمى المعلن ، وهو يعلن اللوحات كلما استخرجت من العلب على مسطرة تحمل أرقام هذه العلب .

يختار المعان بالاقتراع حتى لا يقوم بعمله دائماً شخص معين ، وحتى لا يقع الغش فى اختيار القضاة .

فإذا وضع أركون كل قبيلة المكعبات (فى العلب) دعا القضاة إلى مكان الاقتراع . وهذه المكعبات هى حجارة سود وبيض ، يوضع من المكعبات البيض عدد يعدل عدد ما يحتاج إليه من القضاة مكعب عن كل خمس لوحات ، ومثل ذلك من المكعبات السود .

ثانياً : فإذا استخرج الأركون هذه المكعبات بواسطة الاقتراع دعا الساعى القضاة الذين عينوا يعينه على ذلك المعلن . فإذا دعى القاضى وثبتت شخصيته أخذ من « الهودريون » ثمرة من ثمر البلوط وأظهرها إلى الأركون الذى يشرف على العمل . فإذا رأى الأركون هذه الثمرة ألقى بلوحة القاضى فى علبة أخرى عليها رقم هذه الثمرة ، حتى يذهب القاضى إلى المحكمة التى وقعت له بالاقتراع ، لا إلى المحكمة التى يريد أن يذهب إليها ، وحتى لا يمكن أن تؤلف محكمة من قضاة قد أريدوا لها من قبل . وقد كان وضع إلى جانب الأركون عدد من العلب يعدل عدد المحاكم التى يراد تأليفها ، وعلى كل علبة منها رقم محكمة من المحاكم .

العمود الثانى والثلاثون من البردى

اللوحة العشرون والتاسعة عشرة من الطبعة الفوتوغرافية

نظام المحاكم

١ ــ كيف يعرف القاضى محكمته . العصى

٢ ــ أمارات الحضور

أولا : يدفع الساعى إلى القاضى عصاً قد لونت بلون المحكمة التى يجب أن يذهب إليها ، والتى عليها رقم ثمرة البلوط التى يحملها ، حتى لا يستطيع أن يدخل محكمة أخرى . فإن فعل دل عليه لون عصاه ، وذلك أن أعالى أبواب المحاكم قد لونت ألواناً مختلفة ، فإذا أخذ القاضى عصاه ذهب إلى المحكمة التى قد لونت بلونها ، والتى عليها رقم ثمرة البلوط التى كان أخذها .

ثانياً : فإذا دخل القاضى دفع إليه عامل قد اختير بالاقتراع قطعة من المعدن قد ضربتها الدولة .

وليس من سبيل إلى ترجمة ما بقى من العمود ترجمة صحيحة .

العمود الثالث والثلاثون من البردى

اللوحة التاسعة عشرة — لم يبق منه إلا أوائل السطور .

العمود الرابع والثلاثون من البردى

اللوحة التاسعة عشرة — لم يبق منه إلا جمل متفرقة يظهر من مقارنتها أنها كانت تتعلق بالمرافعة .

العمود الخامس والثلاثون من البردى

اللوحة التاسعة عشرة والعشرون من الطبعة الفوتوغرافية

أمكن استخلاص شيء منه لأن بعض نصوصه قد وردت فى كتب القدماء :

وصف الإجراءات القضائية

أمارات التصويت

تتخذ أمارات التصويت من البرونز ، وقد قام فى وسطها عرق قد ثُقب فى بعضها وبقى كما هو فى بعضها الآخر . فإذا تمت المرافعة أقبل الموزع فأعطى كل قاض أمارتين إحداهما قد ثُقب عرقها والأخرى لم

يثقب . يدفع إليه ذلك بطريقة ظاهرة يشهدها الخصمان ، حتى لا يقال إن قاضياً قد دفع إليه أمارتان مثقوبتان أو كاملتان .

العمود السادس والثلاثون والعمود
السابع والثلاثون من البردى

اللوحة الحادية والعشرون من الطبعة الفوتوغرافية
وصف الإجراءات القضائية

١ — الجرات التى تجمع فيها الأضوات
٢ — التصويت
٣ — إحصاء الأصوات و إعلان نتيجة التصويت
٤ — التصويت فى تقدير العقوبة
٥ — دفع الأجر للقضاة

أولا — فى المحكمة جرتان إحداهما من البرونز والأخرى من الخشب . وقد فصلت كل واحدة من صاحبتها حتى لا يخطئ أحد حين يريد أن يضع أمارة تصويته . فى هاتين الجرتين تجمع أصوات القضاة فى الجرة البرونزية تلقى الأمارات التى يراد بها الحكم ، وفى الجرة الخشبية توضع الأمارات التى يراد إلغاؤها .

وقد سدت الجرة البرونزية بغطاء فيه ثقب لا تمر منه إلا أمارة واحدة فى وقت واحد .

ثانياً — فإذا آن أوان التصويت أعلن الصائح ذلك إلى الخصمين وطلب إليهما : أيريد أحدهما الطعن فى شهادة الشهود . فإن الطعن فى الشهود يجب أن يكون قبل تصويت القضاة . ثم يُعلن الصائح أن الأمارة المثقوبة لمن تكلم أولا والكاملة لمن تكلم ثانياً .

ثم يأتى بعد ذلك ستة عشر سطراً شديدة الفساد ، لا شك فى أن موضوعها كان فى بحث الأمارات واستخلاص نتيجة التصويت .

ثالثاً — يفصل بين الأمارات المثقوبة وغير المثقوبة فيلقى بعضها — وهى الأمارات التى يصوت بها للمتهم أو المدعى — فى الجرة البرونزية . ويلقى بعضها الآخر — وهى التى يصوت بها لغير ما يطلبه هذا — فى الجرة الخشبية . ثم يدفع السعاة المكلفون حمل الأصوات الجرة البرونزية . . .

ثم يعلن الصائح عدد الأمارات . فالأمارات المثقوبة للمدعى ، والأمارات غير المثقوبة للمدعى عليه ، فأى الخصمين كان أكثر من صاحبه عدد أمارة فقد ربح القضية . فإن تساوى نصيبهما من الأمارات بُرئ المدعى عليه .

رابعاً : فإن دعت الحاجة أعيد التصويت ، لتقدير العقوبة أو الغرامة .

ويصوت القضاة بالطريقة نفسها دافعين أمارات الحضور آخذين

عصيهم . ولكل من الخصمين نصف « كونجيوس »[1] من الماء ليبسط رأيه في التقدير .

خامساً : فإذا أتم القضاة عملهم بمقتضى القانون قبضوا أجورهم في القسم الذى عينه الاقتراع للقضاء فيه .

(تم الكتاب)

---

(١) وعاء للسائل. والمراد هنا ما يجب أن يسقط من الساعة المائية أثناء كلام الخصم .

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الجزء الثانى

عرض ما كان فى أثينا من النظم

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة




Bibliotheca Alexandrina
03899801